مختصر
تاريخ البصرة

تأليف
على ظريف الأعظمى

تقديم وتحقيق
عزة رفعت

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

مختصر

تاريخ البصرة

تأليف

علي ظريف الأعظمي

تقديم وتحقيق

عزة رفعت

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد. الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ . فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧



مقدمة المؤلف

لما كان الأقبال على المباحث التاريخية يزداد يوماً فيوم فى قطرنا المحبوب وكانت رغبة النشؤ الجديد كثيرة فى الأسفار التاريخية والمصنفات العلمية وكانت مدينة البصرة من المدن الإسلامية الكبرى التى لها شأن عظيم فى تاريخ العرب، وتسهيلاً للقراء جعلته فصلين يتضمن الأول منهما ذكر ما تمكنت من جمعه من تاريخ البصرة القديمة منذ تأسيسها إلى حين خرابها وما حدث فيها من الانقلابات السياسية والوقائع الحربية والتغييرات الإدارية وغيرها. ويبحث الثانى عن تاريخ البصرة الحديثة (الحالية) منذ عمرت حتى انقراض الدولة العثمانية.

ولما كانت معترفاً بقلة بضاعتى أرجو ممن يجد لى هفوة أو زلة أن يرشدنى إلى الصواب لأصلح موضع الخطأ فى طبعة أخرى.

كما أنى أرجو من القراء أن يعذرونى عن ذكر الحوادث التى حدثت بعد أفول هلال دولة الأتراك لما أخشاه من الوقع فى شرك يصعب علىَّ التخلص منه .

الفصل الأول

البصرة القديمة

تمهيد :

كـــان فى عهـــد الدولة الساسانية الفارسية (٢٢٦ م - ٦٥١م)[١] فى جنوبى العراق بين دجلة وكارون إمارة فارسية تسمى إمارة ميشان [٢]كان مركزها بلدة ميشان على الخليج الفارسى بأسفل موضع البصرة، وكانت هذه الإمارة تضم بـــلدة ميشـــان ومديـــنة الابلة وعدة حصون ومواضع كان لبعضها أسماء فارسية ولبعضـــها أسماء عربية منها المسلحة التى سماها العرب بعد خرابها الخريبة [٣] ومنها

---

(١) انقرضت هذه الدولة بقتل يزد جرد الثالث فى سنة ٦٥١ م فى خلافة عثمان بن عفان ومدها (٤٢٥) سنة ولكنها ملكت العراق ٤١١ تقريباً (٢٢٦ م - ٦٣٧ م) وقد انقرضـــت من هذا القطر فى سنة (٦٣٧ م) ، على يد القائد الإسلامى ســـــعد بن أبى وقاص فى أيام الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) وسماها بعضهم برات ميشاه وكرخاديشان وسماها اليونان خارك أو حارك وسماها العرب دســـت ميسان وميشان ، فى لواء البصرة اليوم مزرعة كبيرة فيها بساتين لآل الزهير عـــلى النهر المعروف بكرمة على شمال البصرة القديمة تسمى ميشان ومن المحتمل أنها موقع ميشان القديمة أو أنها سميت بأسمها والراسخون بهذا العلم أعلم .

(٣) وتســـى بعضهم دهيشنا باذارديشر ويقال أنها كانت مدينة قديمة للفرس وكان لها عدة أسماء وكان قصر للمرزبان.

المثنى والحفير والمضيح وغيرة [١] وكانت تلك الإمارة أو ذلك الثغر أعظم ثغور الفرس وأشدها شوكة فى ذلك العهد وكان عليها فى عهد الملك أردشير الثالث بن شيرويه [٢] قائد فارسى اسمه هرمز وهو ممن تم شرفهم عند الفرس فى ذلك العصر.

وفى الوقت الذى كانت المملكة الفارسية قد تزعزعت أركانها من توالى الفتن الداخلية المستعرة نيرانها فى كل جهة من جهاتها فى الوقت الذى كان القائد العربى المثنى بن حارثة الشيبانى [٣] يغير فيه بمجموعة على ناحية الحيرة فى أيام

---

(١) الثنى نهر قرب موضع البصرة كان فيه ماء والمضبح أسم مكان قريب من موقع البصرة.

(٢) وأردشير هذا هو ابن شيرويه بن كسرى أبرويز وقد تولى سنة ٦٢٩م وكان طفلاً فحكم مدة قصيرة ثم قتل.

(٣) هو المثنى بن حارثة بن سلمة الشيبانى صحابى فاتح من كبار القادة ، أسلم سنة ٩ هـ وغزا بلاد الفرس فى أيام أبى بكر ، فتنافل الناس أخباره ، فسأل أبو بكر من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ فقال قيس بن عاصم : أما إنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب ، ولا قليل العدو، ولا ذليل الغارة ، ذلك المثنى بن حارثة الشيبانى ثم وفد على أبى بكر فاكرمه وأمره على قومه . وعاد يغير على سواد العراق (وهو أول من فعل ذلك من المسلمين) فأمده أبو بكر بخالد بن الوليد فكان بدء الفتح ، ولما ولى عمر أمده بجيش عليه أبو عبيد بن مسعود الثقفى (والد المختار) فكانت وقعه " قس الناطق" وقتل أبو عبيد وجرح المثنى فأمده عمر بجيش يقوده سعد بن أبى وقاص وشهد المثنى عدة وقائع بعد شفائه فأنتقضت عليه جراحته ، فمات قبل وصول سعد إليه سنة ١٤ هـ / ٦٣٥م .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٧٧٢٢ ، البداية والنهاية ٧/ ٤٩ ، جمهرة الأنساب ٣٠٥ ، ابن العبرى ١٧١ — ١٧٢ .

الخليفة الأول أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة [١] رضى الله عنه ، كان قطبة بن قتادة السدوسـى [٢] يغير بمجموعة على ناحية إمارة ميشان أو ناحية المنطقة التى بها لواء البصرة اليوم [٣] .

وكان الخليفة الأول [٤] قد علم بالأضطرابات المتوالية التى كانت فى مملكة الفرس وكان يفكر فى فتح بلادهم ومستعمراهم ولكنه كان مشغولاً حينذاك بقتال المـرتدين فـلما فرغ من حرب المرتدين. ودانت له جزيرة العرب عزم على فتح العراق وكتب فى أواخر سنة ١١ هـ الموافقة لسنة ٦٣٢م إلى القائد الكبير خالد ابـن الوليـد [٥] – وهو يومئذ باليمامة – يأمره أن يسير بجيشه إلى العراق لنشر

---

(١) هـو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤنسه فى الغار وصديقه الأكبر ووزيره الأحزم عبد الله بن أبى قحافة القرشى التـيمى ، كان أول من احتاط فى قبول الأخبار ، مات سنة ١٣ هـ وله ٦٣ عاماً .
انظر المزيد فى : أسد الغابة ٣/ ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٢ ، شذرات الذهب ١/ ٢٧ ، طبقات الفقهاء ٣٦ ، العبر ١/ ١٦ ، مـروج الذهب ٢/ ٣٠٥ .

(٢) ورد ذكـره فى مروج الذهب وتاريخ الطبرى والكامل فى التاريخ والمختصر فى أخبار البشر .

(٣) ويروى أن سويد بن قطبة الذهلى كان يغير فى تلك الناحية .

(٤) تـولى الخلافـة فى ٥ ربيع الأول سنة ١١ هـ ، الموافقة سنة ٦٣٢ م ومات فى ٢٢ جمادى الثانى سنة ١٣ هـ الموافقة ٢٢ أغسطس سنة ٦٣٤ م ، وتولى بعده عمر وقتل فى ٣٩ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ الموافقة سنة ٦٤٤ م بعد أن فتح عدة أقطار ووسع المملكة الإسلامية .

(٥) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى سيف الله الفاتح الكبير الصحابى ، كان من أشراف قريش فى الجاهلية، يلى أعنه الخيل وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام =

الدعـــوة والفتح وأن يبدأ بثغر الهند وهو الابلة [١] وأن يستنفر من قاتل أهل الردة وأن لا يستعين بمرتد ، وكتب بمثل ذلك إلى عياض بن غنم [٢] ولكنه أمره أن يبدأ بالمضـــيح ويدخـــل العـــراق من أعلاه ويسير حتى يلتقى بخالد، وكتب إلى المثنى وأصـــحابه (حرملة ومعذور وسلمى) يأمرهم أن يلحقوا بخالد بالابلة وكان يومئذ

= إلى عمرة الحديبية وأسلم قبل الفتح (مكة) هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـــ ، فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الخيل . ولما ولى أبو بكر وجهه لقتال مسليمة ومـــن أرتد من أعراب نجد . ثم سيره إلى العراق سنة ١٢ هـــ ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه . وحوله إلى الشام وجعله أمير من فيها من الأمراء ولما ولى عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولى أبا عبيدة بن الجراح فلم يثن ذلك من عزمه واستمر يقاتل بـــين يدى أبى عبيدة إلى أن تم لهما الفتح سنة ١٤ هـــ فرحل إلى المدينة فدعاه عمر ليوليـــه ، فـــأبى ومات بحمص فى سورية سنة ٢١ هـــ / ٦٤٢م وقيل بالمدينة ، كان مظفراً خطيباً فصيحاً يشبه عمر بن الخطاب فى خلقه وصنعته. قال أبو بكر : عجزت النســـاء أن يلدن مثل خالد . روى له البخارى ومسلم ١٨ حديثاً. وأخباره كثيرة .

انظـــر المزيد فى : الإصابة ١/ ٤١٣ ، تهذيب ابن عساكر ٥/ ٩٢ – ١١٤ ، صفة الصفوة ١/ ٢٦٨ ، تاريخ الخميس ٢/ ٢٤٧، ذيل المذيل ٤٣ .

(١) الابلة مدينة كانت على نهر الابلة بين البصرة والخليج الفارسى وكانت مرفأ السفن من الهـــند وثغـــر من ثغور الفرس وكانت عامرة كثيرة البساتين وقد فتحها المسلمون فى رجب سنة ١٤ هـــ ، وبقيت عامرة فى أيام الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين ثم خربت فى سنة ٢٥٦ هـــ فى أيام العباسيين .

(٢) هـــو عيـــاض بن غنم بن زهير الفهرى قائد من شجعان الصحابة وغزاتهم ، أسلم قبل الحديبية وشهد بدراً وأحداً والخندق ونزل الشام وفتح بلاد الجزيرة فى أيام عمر وهو أول من اجتاز " الدرب " إلى الروم غازياً وكان يقال له " زاد الراكب" لكرمه . توفى بالشام أو بالمدينة وهو ابن ستين سنة ، مات سنة ٢٠ هـــ / ٦٤١م .

انظر المزيد فى: الإصابة ت ٦١٤٢، صفة الصفوة ١/ ٢٧٧ ، فتوح البلدان ١٧٩ .

يغيرون على ناحية الحيرة، فسار خالد بن الوليد بمن معه فى أوائل محرم سنة ١٢ هـ وسار عياض بمن معه أيضاً فى الوقت نفسه ثم كتب كل منهما وهما فى الطريق يستمدان الخليفة ، فأمد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمى [1] وأمد عياضاً بعبد بن غوث الحميرى. ثم التقى خالد وعياض بأرض العراق فى الجهة الجنوبية منه وكان مجموع من معهما عشرة آلاف مقاتل ثم أنضم إليهما المثنى وأصحابه وكانوا ثمانية آلاف مقاتل فبلغ الجيش الإسلامى ثمانية عشر ألف مقاتل.

ولما تكامل الجيش العربى جعله خالد ثلاث فرق . الأولى وهى المقدمة جعل عليها المثنى بن حارثة ، والثانية جعل عليها عدى بن حاتم [2]، والثالثة قادها بنفسه. وسير الأولى ثم الثانية ووعدهما الحفير ولم يحملهم على طريق واحد ثم سار هو فى طريق آخر وقرر مصادمة الفرس فى الحفير .

---

(١) هو القعقاع بن عمرو التميمى أحد فرسان العرب وأبطالهم فى الجاهلية والإسلام . له صحبة شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس . وسكن الكوفة وأدرك وقعة صفين فحضرها مع على . وكان يتقلد فى أوقات الزينة سيف هرقل " ملك الروم" ويلبس درع بهرام " ملك الفرس" وهما مما أصابه من الغنائم فى حروب فارس . وكان شاعراً فحلاً . قال أبو بكر : صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل . مات سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م .
انظر المزيد فى : الإصابة ت ٧١٢٩ .

(٢) هو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى أبو وهب وأبو طريف أمير صحابى من الأجواد العقلاء . كان رئيس طيئ فى الجاهلية والإسلام . وقام فى حرب الردة بأعمال كبيرة حتى قال ابن الأثير : خير مولود فى أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم . وكان إسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع على وفقئت عينه يوم صفين ومات بالكوفة سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م . روى عنه المحدثون ٦٦ حديثاً. عاش أكثر من مائة سنة وهو ابن حاتم الطائى الذى يضرب بجوده المثل .
انظر المزيد فى : الإصابة ت ٥٤٧٧ ، حسن الصحابة ٣٨ ، خزانة البغدادى ١/ ١٣٩ ، الروض الأنف ٢/ ٣٤٣ ، إمتاع الأسماع ١/ ٥٠٩ ، رغبة الآمل ٦/ ١٣٥ .

وقعة الحفير

بعـــد أن عـــبأ خالد جيوشه وسيرها إلى الحفير سمع القائد هرمز أمير ميشان بقدومهم فكتب إلى كسرى بالخبر وطلب منه النجدة وسار بمن معه إلى الكواظم[١] ثم سمـــع أن المسلمين تواعدوا الحفير فسبقهم إليه ونزل به ، فسمع خالد بهم فنزل بقربهم وكتب إلى هرمز يقول :

(أما بعد فأسلم تسلم أو أعقد لنفسك وقومك الذمة وإقرر الجزية وإلا فلا تـــلومن إلا نفســـك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) فأختار هرمز الحـــرب وبعـــث بكتاب خالد إلى كسرى وجمع جموعه وتهيأ للحرب وعبأ كل من خـــالد وهرمز جيشه ثم التحم القتال بين الفريقين فانجلت المعركة عن إنهزام الفرس وقتل قائهم هرمز وغنم المسلمون أموالهم وذلك فى محرم سنة ١٢ هـــ وهذه أول وقعة حدثت فى العراق بين المسلمين والفرس وتسمى وقعة الحفير وذات السلاسل (لأن الفرس أقترنوا بالسلاسل لئلا يفر منهم أحد) [٢]

---

(١) الكواظم جمع كاظمة وهى مدن قديمة كانت عند خليج الكويت .

(٢) ويـــروى أن أول وقعـــة حدثت فى كاظمة ثم تلتها وقعة الحفير وقيل أن المعركة الثانية حدثت فى الثنى على أن بعض المؤرخين يزعم أن أول مكان وصل إليه خالد فى العراق بـــلاد بانقيا وباروسما والليس والراجح ما ذكرناه وأنه بعد أن صالح أهل الحيرة على مال قاتل الفرس وفاز عليهم فى كل المعارك ثم سار إلى الشام سنة ١٣ هـــ / ٦٣٤ م بأمـــر الخليفة الأول وترك فى العراق نصف الجيش واستخلف عليه المثنى بن حارثة ثم تولى القيادة العامة أبو عبيدة ثم المثنى مرة ثانية ثم سعد بن أبى وقاص وعلى يده تم فتح العراق فى سنة ١٦ هـــ ، سنة ٦٣٧ م .

وقعة الثنى

لما أنتهى خالد من وقعة الحفير أرسل المثنى بن حارثة فى آثار الفرس المنهزمين وسار هو بمن معه حتى نزل موضع الجسر الأعظم عند موقع البصرة .

وكـــان مـــلك الفرس لما وصله كتاب هرمز يخبره بقدوم الجيش الإسلامى ويطـــلب منه النجدة قد أمد هرمزاً بجيش تحت قيادة قارن بن قريانس . فلما وصل المـــنار [١] لقيهـــم المنهزمون فأجتمعوا وتوقفوا قليلاً ثم ساروا فنزلوا الثنى ، فسمع بمجيـــئهم خالد فتهيأ لملاقاتهم وسار إليهم فأقتتل الفريقان وكانت معركة هائلة قتل فيها عدد كبير من الفرس فيهم قائدهم قارن وهو ممن تم شرفه عند الفرس كهرمز. وكـــانت الغـــنائم فى هـــذه الوقعة كثيرة وسبى المسلمون فيها عيالات المقاتلة [٢] وسميت وقعة الثنى وقد حدثت فى أوائل صفر سنة ١٢ هـــ .

---

(١) المنار قصبة وقيل بلدة بالقرب من واسط بينهما وبين البصرة أربعة أيام إلى الشمال .

(٢) وكان فى السبى يومئذ الحسن البصرى وكان نصرانياً .

مسير خالد إلى الشمال

بعد أن فرغ خالد من وقعة الثنى أمر على قسم من جيشه سعيد بن النعمان وسيره إلى الحفير وأمره بالنزول هناك وأقام هو فى قسم من جيشه فى الثنى يترقب أخبار الفرس ويترصد حركاتهم. ثم ارتأى بعد أيام قليلة أن يسير نحو شمال البصرة مما يلى الفرات للتوغل فى البلاد العراقية فجمع جيوشه وسار بهم بعد أن ترك حامية فى موضع البصرة أو مما يلى تلك المنطقة لاشغال من هناك من الفرس[١] . والظاهر أنه أمر على تلك الحامية قطبة بن قتادة لأن قطبة كتب بعد موت أبى بكر إلى عمر بن الخطاب [٢] رضى الله عنه يعلمه مكانه ويقول له : لو كان معه عدد كاف لظفر بمن كان قبله من الفرس فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه إليه شريح بن عامر أحد بنى سعد بن بكر فلما وصل شريح

---

(١) لما كانت حروب خالد وانتصاراته لا علاقة لها فى تاريخ البصرة تركنا ذكرها.

(٢) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أيد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل، وربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب، وأستشهد أمير المؤمنين عمر فى أواخر ذى الحجة من سنة ثلاث وعشرين وعاش نحو ستين سنة .

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ١٤٥ ، الإصابة ٢/ ٥١١ ، تاريخ الخلفاء ١٠٨ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩ ، شذرات الذهب ١/ ٣٣، طبقات الفقهاء ٣٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٩١ ، العبر ١/ ٢٧ ، مروج الذهب ٢/ ٣١٢ ، النجوم الزاهرة ١/ ٧٨ .

تـــرك قطبة فى موضعه ومضى إلى الأهواز لغزو الفرس فقتلوه وظل قطبة يغير على تـــلك الجهـــات إلى أن أرسل عمر سعد بن أبى وقاص [١] قائداً عاماً على الجيش الإســـلامى فأرسل سعد بعد وقعة القادسية الشهيرة التى مزقت الفرس فى محرم سنة ١٤ هـــ عتبة بن غزوان المـــــــازنى [٢] إلى جهة موضع البصرة بأمـــر الخليفة

---

(١) هـــو ســـعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى الزهرى أبو إسحاق الصـــحابى الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة ويقـــال لـــه فارس الإسلام ، أسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدراً وأفتتح القادسية ونزل أرض الكوفة فجعلها خططاً لقبائل العرب، وأبتنى بها داراً فكثرت الدور فيها وظل والياً عليها مدة عمـــر بـــن الخطاب وأقره عثمان زمناً ثم عزله فعاد إلى المدينة فأقام قليلاً وفقد بصره وقالوا فى وصفه : كان قصيراً دحداحاً ، ذا هامة ، شثن الأصابع ، جعد الشعر، مات فى قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل إليها سنة ٥٥ ق.هـــ/ ٦٧٥ م له فى الصحيحين ٢٧١ حديثاً .

انظـــر المزيد فى : الرياض النضرة ٢/ ٢٩٢ – ٣٠١ ، تاريخ الخميس ١/ ٤٩٩ ، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٨٣ ، البدء والتاريخ ٥/ ٨٤ ، الجمع ١٥٧ ، صفـــة الصفوة ١/ ١٣٨ ، حلية ١/ ٩٢ ، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٩٣ ، نكت الهميـــــان ١٥٥، الكنى والأسماء ١/ ١١، طبقات ابن سعد ٦/٦ ، الإصابة ت ٣١٨٧ .

(٢) هـــو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثى المازنى أبو عبد الله بانى مدينة البصرة صـــحابى قديم الإسلام . هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ثم شهد القادسية مع ســـعد بن أبى وقاص . ووجهه عمر إلى ارض البصرة والياً عليها وكانت تسمى " الأبلة" أو أرض الهـــند فأختطها عتبة ومصرها . وسار إلى ميسان وأبزقباذ فافتتحها. وقدم المدينة لأمر خـــاطب بـــه أمير المؤمنين عمر ، ثم عاد فمات فى الطريق سنة ١٧ هـــ ، ٦٣٨م ، وكـــان طويلاً جميلاً من الرماة المعدودين . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث .

=

الثانى [١] عمر فما وصل عتبة بمن معه نزل حيال الجسر الصغير فبلغ صاحب الفرات قدومه فأقبل لقتاله بجموعه . فتزاحف الفريقان وحدثت بينهما معركة عنيفة انجلت عن إنكسار الفرس ووقع قائدهم أسيراً بيد عتبة .

فتح الابلة

بعد أن هزم عتبة حامية الفرس مراراً فى تلك الجهات وأستولى على عدة حصون أو مخافر كانت تقيم فيها جنود فارسية لمنع غارات العرب منها المسلحة التى سموها بعد حراها الخريبة أجتمع أهل الأبلة وخرجوا لقتاله فقاتلهم فأنتصر عليهم وهزمهم حتى دخلوا المدينة فى رعب شديد ثم رجع إلى معسكره وترك فى قلوب من فى الأبلة خوفاً اضطرهم إلى إخلاء المدينة فحملوا ما خف وعبروا الماء ، فبلغ ذلك عتبة فأسرع إليها ودخلها وغنم المسلمون أموالاً وسلاحاً وسبياً وذلك فى رجب سنة ١٤ هـ .

= انظر المزيد فى : طبقات ابن سعد ٣/ ٦٩ ثم ١٠٧ ، صفة الصفوة ١/ ١٥١ ، حلية الأولياء ١/ ١٧١ ، ذيل المذيل ٤٠ ، طبقات المناوى ١/ ٦٩ ، إمتاع الأسماع ١/ ٥٧، تهذيب الأسماء ١/ ٣١٩، البداية والنهاية ٧/ ٤٩ ، فتوح البلاذرى ٣٥٨ .

(١) ويروى أن عتبة أرسله عمر من المدينة وأوصاه ووعظه وقال له : انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا فسار عتبة ومن معه ونزل فى موضع البصرة فى ربيع الأول سنة ١٤ هـ ، وكان معه أربعون رجلاً فيهم نافع بن الحارث الثقفى وأبو بكرة وزياد بن أبيه وأنضم إليه قطبة فيمن معه من بكر ابن وائل وتميم .

تأسيس البصرة القديمة

علـى أثـر فتح الأبلة نزل عتبة بجيشة على طرف البر إلى جانب مسلحة الفـرس التى خرجت فى تلك الأثناء فسموها الخريبة وأتخذ المكان معسكراً لأنه لا يحـول الماء بينه وبين مكة إذ كان من ذلك الموضع على الضفة الغربية للفرات إلى مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما نهر ثم كتب إلى الخليفة الثانى فى موسم الشـتاء يستأذنه بالبناء فأذن له فبنى مسجداً وداراً للإمارة من القصب فى الرحبة الـتى سميت رحبة بنى هاشم وذلك فى سنة ١٤ هـ / ٦٣٦م ، فبنى الناس بيوهم مـن القصـب. وقـد بنيت على بعد أربعة فراسخ من مدينة الأبلة قرب الخليج الفارسى فى منتهى العراق عند موقع الزبير [١].

(١) نسبة إلى الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشي أبو عبد الله الصحابي الشجاع أحد العشـرة المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه فى الإسلام وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم وله ١٢ سنة . وشهد بدراً وأحداً وغيرهما . وكان على بعض الكراديس فى اليرموك . وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب . قالوا : كان فى صدر ابن الزبير أمثال العيـون من الطعن والرمى . وجعله عمر فى من يصلح للخلافة بعده . وكان موسراً كـثير المتاجر ، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم . وكان طويلاً جداً إذا ركـب تخط رجلاه الأرض . فقتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بـوادى السباع (عـلى ٧ فراسخ من البصرة) سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦م . وكان خفيف اللحية وأسمر اللون ، كثير الشعر . روى له البخارى ومسلم ٣٨ حديثاً .

انظر المزيد فى : تهذيب ابن عساكر ٥/ ٣٥٥، الجمع ١٥٠ ، صفـة الصفوة ١/ ١٣٢ ، حلية الأولياء ١/ ٨٩ ، ذيل المذيل ١١، تاريخ الخميس ١/ ١٧٢ ، =

وعـــلى أثر ذلك أجتمع أهل ميشان وخرجوا لقتال المسلمين فخرج إليهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبان ميشان أسيراً.

وبعد قليل استعمل عتبة على جيشه مجاشع بن مسعود[1] وسيره إلى الفرات واســـتخلف على المدينة المغيرة بن شعبة [2] إلى أن يعود مجاشع فإذا قدم فهو الأمير

= البدء والتاريخ ٥/ ٨٣ ، الرياض النضرة ٢٦٢ - ٢٨٠ ، خـزانة البغـــدادى ٢/ ٤٦٨ ثم ٣٥٠ .

(١) هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمى صحابى من القادة الشجعان أستخلفه المغيرة بن شـعبـة على " البصرة " فى خلافة عمر وغزا "كابل" وصالحه صاحبها "الأصبهبذ" وقيل : كان على يديه فتح " حصن أبرويز" بفارس . وكان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بنى سليم فقتل فيه قبل الوقعة ودفن بداره فى " بنى سدوس" بالبصرة ٣٦ هـــ / ٦٥٦م ،له خمسة أحاديث فى الصحيحين وغيرهما وكان من الكرماء ، وفد عليه عمرو ابـــن معدى كرب وهو فى البصرة فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرساً وسيفاً ودرعاً .

انظر المزيد فى ذكر أخبار أصبهان ١/ ٧٠ ، الإصابة ت ٧٧٢٣ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨ ، الجمع ٢/ ٥١٥ ، معجم ما استعجم ١١٠٨ ، العقد الفريد ٢/ ٦٦١ .

(٢) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم صحابى ، يقال له " مغيرة الرأى" ولد فى الطائف " بالحجاز" سنة ٢٠ ق ٠ هـــ / ٦٠٣ م وبرحها فى الجاهلية مع جماعة من بنى مالك فدخل الإسكندرية وافداً على المقوقس وعاد إلى الحجاز . فلما ظهر الإسلام تردد فى قبوله إلى أن كانت ســنة ٥ هـــ ، فأسلم وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها . وولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على البصرة ففـــتح عدة بلاد وعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله ولما حدثت الفتـــنة بين على ومعاوية اعتزلها المغيرة وحضر مع الحكمين ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هـــ / ٦٧٨م .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٨١٨١ ، أســد الغابة ٤/ ٤٠٦ ، تاريـــخ الطبرى=

وســـار عتـــبة إلى يثرب عاصمة المسلمين لملاقاة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فأنتصر مجاشع بن مسعود على أهل الفرات . أما المغيرة بن شعبة فأنه بلغه أن الفـــرس القريبين منه أجتمعوا لقتاله فخرج إليهم بمن معه فلقيهم بالمرغاب وأنتصر عـــليهم وكـــتب بذلك إلى الخليفة . فلما وصل كتابه إلى الخليفة قال لعتبة : من استعملت على البصرة فقال مجاشع بن مسعود قال : أتستعمل رجلاً من أهل الوبر عـــلى أهل المدر ؟ وأخبره بما كان من أمر المغيرة وأمره بالرجوع إلى عمله وأوصاه بوصايا هامة قمات عتبة فى الطريق فى سنة ١٤ هـــ .

ولما بلغ الخليفة الثانى موت عتبة ولى على البصرة المغيرة بن شعبة وذلك فى سنة ١٤ م ثم عزله فى سنة ١٦ هـــ ، وولى عليها أبا موسى [١] الأشعرى [٢].

= ٦/ ١٣١ ، ذيـــل المذيل ١٥، الكامل ٣/ ١٨٢ ، الجمع ٤٩٩، معجم الشعراء ٣٦٨، رغبة الآمل ٤/ ٢٠٢، المحبر ١٨٤.

(١) هـــو أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس استعمله النبى صلى الله عليه وسلم مع معاذ عـــلى الـــيمن ، ثم ولى لعمر الكوفة والبصرة . وكان عالماً صالحاً تالياً لكتاب الله إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن . حدث عنه طارق بن شهاب وابن المسيب وخلق . وقال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول : لم أر بالكوفة أعلم من على وأبى موسى . مات فى ذى الحجة سنة ٤٤ هـــ .

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٦/ ٣٠٦ ، الإصابة ٢/ ٣٥١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٧٨ ، شذرات الذهب ٥٣/١ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٤٤٢، طبقات القـــراء للذهبى ١/ ٣٧ ، العبر ١/ ٥٢ ، النجوم الزاهـــرة ١/ ١٢٦ .

(٢) وقيل ولاه فى سنة ١٧ هـــ .

وفى هـــذه السنة (سنة ١٦ هـــ) حدث حريق بالبصرة فخافوا الحريق مرة أخـــرى فأستأذنوا الخليفة فى البناء باللبن فأذن لهم وكتب إليهم يقول : أفعلــــوا ولا يــــذدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة. فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا المدينة خططاً بحسب القبائل لكل قبيلة خـــط . وجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعاً وعرض ما سواه عشرين ذراعاً وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع ووسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وتلاصـــقوا بالمنازل وأول شيء بنى فيها مسجدها ووضعوه فى الوسط بحيث تتفرع الشوارع منه [١] ، ولما أذن عمر ببنائها باللبن ساق إليها جماعات كبيرة من أشراف العـــرب من أهل البادية وأسكنهم فيها وكان على تنزيلها أبو الحربـــاء عاصـــــم ابن دلف [٢] .

---

(١) ويروى أن سعداً أرسل نفراً إلى عمر يستأذنونه فى بناء البصرة باللبن فأذن لهم وأمرهم بـــتخطيط الشـــوارع على الوجه المذكور وما قيل من أنها بنت باللبن فى أيام عتبة بن غزوان فغير صحيح لأنه مات فى سنة ١٤ هـــ بعد أن بناها بالقصب ثم بنيت باللبن فى سنة ١٦ هـــ بعد سقوط المدائن بقليل فى أيام إمارة أبى موسى الأشعرى.

(٢) وقـــد بالغ بعض المؤرخين وزعم أن عمر ساق إلى البصرة بعد بنائها باللبن سبعين ألف بيت من أشراف العرب من سكان البادية وأسكنهم فيها .

البصـــرة

فى عهد الخلفاء الراشدين

لم تم فتح العراق بعد سقوط المدائن عاصمة الفرس على يد القائد الإسلامى سـعد بن أبي وقاص فى سنة ١٦ هـ الموافقة لسنة ٦٣٧م رتب الخليفة الثانى عمر ابـن الخطـاب رضى الله عنه العمال وقدر رواتبهم وأقر أبا موسى الأشعرى على ولايـة البصـرة وجعل له ستمائة درهم فى الشهر ووجه شريح بن الحرث [١] على قضاء البصرة وأجرى عليه مائة درهم وعشرة أجربة فى الشهر [٢].

وكتب إلى أبي موسى الأشعرى بإبقاء الخراج بالمساحة بأعتبار الجريب كما كـان فى أيـام الفرس على الجريب من الحنطة قفيز ودرهم أو أربعة دراهم وعلى الشـعير درهمـين وعلى الجريب من النخل ثمانية دراهم ومن الكرم العنب عشرة دراهـم ومن القصب ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم سواء زرعت الأرض أم تـركت. والجريب ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً . والقفيز عشر الجريب، أما الأراضى التى

---

(١) هـو شريح بن الحارث بن قيس بن الهجم الكندى أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء فى صـدر الإسـلام . أصـله من اليمن . ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية. وأستعفى فى أيام الحجاج ، فأعفاه سنة ٧٧ هـ وكان ثقة فى الحديث مأموناً فى القضاء.له باع فى الأدب والشعر وعمر طويلاً ومات بالكوفة سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧م انظر المزيد فى شذرات الذهب ١/ ٨٥ ، طبقات ابن سعد ٦/ ٩٠ - ١٠٠ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٤ ، حلية الأولياء ٤/١٣٢ .

(٢) وبقى شريح على القضاء إلى ايام الحجاج بن يوسف الثقفى فى سنة ٧٥ هـ فأستقال .

كانت للدولة الفارسية المنقرضة وهى التى صارت ملكاً للدولة الإسلامية فأنه وضع عليها العشر كما وضع المكس على التجارة .

وأبقـــى الجـــزية على أهل الذمة كما كانت فى عهد الفرس بأعتبار درجات الناس ومقدرتهم وأستثنى نصارى العرب منها وجعل عليهم الزكاة كالمسلمين لأنهم نصروا جيوشه .

وبعد أن كان موضع البصرة معسكراً للجيش الإسلامى تقيم فيه العرب مع نسائهم وأولادهم كما يقيم جيش الاحتلال فى هذا العصر صار ذلك الموضع مدينة كـــبيرة ذات أسواق واسعة وبيوت فخمة ، وسميت بهذا الأسم البصرة لأنها بنيت عـــلى أرض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء إذ تسمى العرب مثل هذه الأرض البصرة وأخذت عمارتها تزداد يوماً فيوماً منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولما قتل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أواخر سنة ٢٣ هـــ الموافقة لسنة ٦٤٤ م وتولى بعده عثمان بن عفان [١] أقر أبا موسى الأشعرى على

---

(١) هـــو أمـــير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمرو الأموى ذو النورين ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن أفتتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب . هاجر إلى الحبشـــة ثم إلى المدينة ، وروى جملة كثيرة من العلم وكان من السابقين الصادقين المنفقين فى سبيل الله ، مات يوم الجمعة ثامن عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته أثنتى عشرة سنة وعاش بضعاً وثمانين .

انظـــر المزيد فى : أسد الغابة ٣/ ٥٨٤، الإصابة ٢/ ٤٥٥، تاريخ الخلفاء ١٤٧ ، تذكـــرة الحفاظ ١/ ٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢١ ، شذرات الذهب ١/ ٤٠ ، طبقات الفقهاء ٤٠ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٠٧ ، طبقات القراء للذهبى ١/ ٢٩ ، العبر ١/ ٣٦ ، مروج الذهب ٢/ ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ١/ ٩٢

البصـــرة ثم عـــزله فى سنة ٢٩ هـــ وولاها عبد الله بن عامر بن كريز[(١)] وهو ابن خال عثمان وكان حدث السن [(٢)] وفى أيامه فى سنة ٢٣ هـــ طعن أهل الكوفة فى عثمان وأنكروا عليه ولاية جماعة من أقربائه لا يصلحون للإمارة ثم سكنوا ولكنهم ظـــلوا نـــاقمين عليه سراً حتى إذا ما كانت سنة ٣٥ هـــ ثاروا واتفق معهم أهل البصـــرة وأهل مصر وخرج خمسمائة رجل من الكوفة ومثلهم من البصرة ومثلهم مـــن المصـــريين وأجتمعوا بالمدينة وطلبوا من عثمان عزل عماله . وكان عثمان قد ســـار على سيره الشيخين بادئ بدء ثم غير سيرته فعزل أكثر الولاة القديرين وولى أقربائه.

---

(١) هـــو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموى أبو عبد الرحمن أمير فاتح . ولد بمكـــة سنة ٤ هـــ / ٦٢٥ م وولى البصـــرة فى أيام عثمان سنة ٢٩ هـــ ، فوجه جيشاً إلى سجستان فأفتـــتحها صلحاً وأفتتح الداور وبلاداً من دارابرد وهاجم مرو الروذ فأفتتحها وبلغ سرخس فأنقـــادت له ، وفـــتح أبرشهر عنوة وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفاريـــاب وأفتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل وقتل عثمان وهو على البصرة، وشـــهد وقعـــة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجـــتماع الـــناس على خلافته ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة ودفن بعرفات . كان شـــجاعاً سخياً وصولاً لقومه رحيماً ، محباً للعمران ، أشترى كثيراً من دور البصرة وهدمها فجعـــلها شـــارعاً وهو أول من أتخذ الحياض بعرفة (فى الحجاز) وأجرى إليها العين ، وسقى الـــناس بالماء . قال الإمام على : ابن عامر سيد فتيان قريش ولما بلغ معاوية نبأ وفاته ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهى .

انظر المزيد فى: تاريخ الإسلام للذهبى ٢/ ٢٢٦ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠ – ٣٥ ، البدء والتاريخ ٥/ ١٠٩ ، الكامل ٣/ ٢٠٦ .

(٢) قيل كان عمره حينذاك ٢٥ سنة . ثم ولاه عثمان فى سنة ٣١ هـــ على الجيش فى بلاد فارس وعهد إليه أن يتم فتحها ففتحها وأنقرضت دولة الأكاسرة على يده فى سنة ٣ هـــ الموافقة لسنة : ٦٥١ م فى أيام عثمان .

لأنــه كان كلفاً بأهله مستسلماً إلى أقربائه من بنى أمية حتى نقم عليه أكثر أصــحابه ونفروا منه . فكبرت الفتنة فحاصروه فى داره ثم هجموا عليه وقتلوه بعد حوادث طويلة وذلك فى ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـــ الموافقة لسنة ٦٥٦ م .

وبويع بالخلافة الإمام على [١] فى ٢٥ ذى الحجة من السنة المذكورة فعزل أكــثر ولاة عثمان منهم أمير البصرة عبد الله بن عامر فأنه عزله فى أوائـــل سنة ٣٦ هـــ الموافقة لسنة ٦٥٦ م وولى مكانه عثمان بن حنيف [٢]فلما وصل البصرة الأمير الجديد ولى على شرطة البصرة حكيم بن جبلة [٣] .

---

(١) هـــو أمـــير المؤمـــنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة وفـــارس الإسلام جاهد فى الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل ، أستشهد فى سابع عشر رمضان من عام أربعين وسنة ستون سنة

انظـــر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ٩١، الإصابة ٢/ ٥٠١ ، تاريخ بغداد ١/ ١٣٣، تـــاريخ الخـــلفاء ١٦٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢ ، شذرات الذهب ١/ ٤٩، طبقات الفقهاء ٤١، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٤٦، طـــبقات القـــراء للذهبى ١/ ٣٠ ، العبر ١/ ٤٦، مـــــروج الذهب ٢/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ١/ ١١٩ .

(٢) هـــو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصارى الأوسى أبو عمرو وآل من الصحابة شهد أحداً وما بعدها. وولاه عمر السواد ثم ولاه على البصرة . ولمـــا نشبت فتنة الجمل (بـــين عائشة وعلى) دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على على ، فأمتنع فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ، وأستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه ، فلحق بعلى وحضر معـــه الوقعـــة ثم سكن الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية بعد سنة ٤١ هـــ / ٦٦١ م .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٥٤٣٧ ، التاج ٦/ ٧٨ ، تهذيب التهذيب ٧/ ١١٢ .

(٣) هـــو حكيم بن جبلة العبدى من بنى عبد القيس صحابى كان شريفاً مطاعاً من أشجع الـــناس، ولاه عثمان إمرة السند ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة وأشترك فى =

وفى أيـــام إمـــارة ابـــن حـــنيف حدثت وقعة الجمل الشهيرة بالبصرة . وخلاصتها ما يأتى :

وقعة الجمل

لما قتل عثمان وصارت الخلافة للإمام على استاء كثير من أهل مكة والمدينة وغيرهـــا لقتل عثمان خصوصاً بنو أمية ومن جملتهم عائشة [1]بنت أبى بكر فأنها لما بـــلغها الخبر قتله استنكاراً شديداً وكانت يومئذ بمكة وقالت : (ما كنت أبالى أن

= الفتنة أيام عثمان . ولما كان يوم الجمل (بين عائشة وعلى) أقبل فى ثلاثمائة مـــن بـــنى عبد القيس وربيعة فقاتل مع أصحاب على وقطعت رجله فأخذها وضرب بها قطعها، فقتله بها وبقى يقاتل على واحدة ويرتجز:

يا ســـاق لن تراعى   إن معى ذراعى

أحمى بها كراعى

ونـــزف دمه ، فجلس متكئاً على المقتول الذى قطع رجله ، فمر به فارس فقال : من قطع رجلك ؟ قال: وسادى وقتل فى هذه الوقعة سنة ٣٦ هـــ / ٦٥٦م .
انظر المزيد فى الإصابة ٢/ ٦٤ ؛ دول الإسلام ١/ ١٨ .

(١) هى عائشة أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق ، كان فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها، تفقه بها جماعة، يروى عن أبى موسى قال : ما أشكل علينا أصـــحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً . توفيت سنة ٥٧ هـــ .
انظر المزيد فى : الإصابة ٤/ ٣٤٨ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧ ، شـــذرات الذهب ١/ ٦١ ، طـــبقات ابـــن سعد ٨/ ٣٩، طبقات الفقهاء ٤٧ ، العبر ٦٢/١، النجوم الزاهرة ١/ ١٥٠.

تقـــع السماء على الأرض ، قتل والله مظلوماً وأنا طالبة بدمه) مع أنها كانت من جمـــلة الناقمين عليه حينما غير سيرته وأستسلم لأقربائه ، فأنضمت عائشة إلى من أتهـــم عـــلياً بقتل عثمان لأت قتله عثمان ألتفوا حوله . وكان طلحة والزبير[١] بن العـــوام ممن طمع بالخلافة بعد قتل عثمان ولكنهما لما رأيا الأكثرية الساحقة لعلى وافقوا القوم وبايعاه مع الناس وعينا كل منهما إلى ولاية من الولايات الكبرى، بل كـــان طلحة لا يشك فى ولاية اليمن والزبير لايشك فى ولاية العراق فلما استبان

---

(١) هـــو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى أبو محمد صحابى، شجاع من الأجـــواد، وهو أحد العشرة المبشرين وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية الســـابقين إلى الإسلام، قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم . وكان يقـــال له ولأبى بكر " القرينان" وذلك لأن نوفل بن الحارث – وكان أشد قريش – رأى طـــلحة ، وقـــد أسلم ، خارجاً مع أبى بكر من عند النبى صلى الله عليه وسلم فأمسكما وشدهما فى حبل ، ويقـــال لـــه " طلحة الجود" وطلحة الخير" و "طلحة الفيـــاض" وكـــل ذلك لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مناسبات مختلفة ، ودعـــاه مـــرة " الصبيح المليح الفصيح" شهد أحداً وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً وسلم، فشهد الخندق وسائر المشاهد وكانت له تجارة وافرة مع العراق ، ولم يكن يدع أحداً من بنى تيم عائلاً إلا كفاه مؤونته ومؤونة عيالـــه ووفى ديـــنه، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦هـــ/ ٦٥٦م ودفن بالبصرة . وله فى الصحيحين ٣٨ حديثاً .

انظـــر المـــزيد فى : طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٢ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠ ، البدء والـــتاريخ ٥/ ٨٢، الجمـــع ٢٣٠ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٤٢، الرياض النضـــرة ٢/ ٢٤٩ – ٢٦٢، صفة الصفوة ١/ ١٣٠، حلية الأولياء ١/ ٨٧ ، ذيل المذيـــل ١١، تهذيب ابن عساكر ٧/٧١، المحبر ٣٥٥، رغبة الآمل ٣/ ١٦ و ٨٩ ، اللباب ٢/ ٨٨ .

لهما أن علياً غير موليهما قابلاه فقالا له : هل تدرى على ما بايعناك ؟ ، قال : نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان ، فقالا ولكنا بايعناك على أنا شريكاك فى الأمر، فقال على ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد، فانصرفا ثم أظهروا الشكاة فتكلم الزبير فى ملأ من قريش فقال : (هذا جزاءنا من على ، قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس فى بيته ، وكفى الأمر فلما نال ما أراد جعل دوننا غيرنا. فقال طلحة : (ما اللؤم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما فى أيدينا ومنعنا ما فى يده فأصبحنا وقد أخطأنا ما رجونا) ، فأنتهى قولها إلى على فدعى عبد الله بن عباس [1] فقال له : (هل بلغك قول هذين الرجلين) قال : نعم بلغنى قولهما ، قال : فما ترى ، قال : أرى أنهما أحبا الولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فأنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان . فقال على : ويحك أن العراقيين بها الرجال والأموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا بالضعيف بالبلاء ويقويا على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لا ستعملت معاوية على الشام ولو لا ما ظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمى الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل، مات بالطائف سنة ٦٨ هـ .

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٣/ ٢٩٠ ، الإصابة ١/ ٣٢٢، تاريخ بغداد ١/ ١٧٣ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٧٢، شذرات الذهب ١/ ٧٥، طبقات الفقهاء ٤٨، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٤٢٥، طبقات القراء للذهبى ١/ ٤١، العبر ١/ ٧٦ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٨٢ ، نكت الهيمان ١٨٠ .

فـــلما يأس كل من طلحة والزبير من الولاية مضيا إلى مكة والتقيا بعائشة وعظمـــا لها شأن عثمان وشايعاها على ما تطلبه على وغيرها من اللذين سائهم قتل عثمان ، وقالا لها تجملنا هرباً من غوغاء الناس وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا يـــنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم ، فقالت : (ننهض إلى هذه الغوغاء أو نأتى الشـــام) وعـــزمت على الاقتصاص من على وانحازت إلى من قام ضده من ذوى المطـــامع الذين أتخذوا قتل عثمان ذريعة لنيل مقاصدهم وصارت تطالب عليا بدم عثمان جهاراً وقوى عزمها بطلحة والزبير.

وكـــان قد وصلهم خبر رد أهل الشام بيعة على وقيام معاوية بالمطالبة بدم عثمان فعزموا الشخوص إلى البصرة وشرعوا فى تجهيز الجيوش وأنضم إليهم جمهور كـــبير، فبلغ ذلك علياً فلم يستطع أن يسلم قتلة عثمان لأنهم يعدون بالآلوف وهم الذيـــن عملوا على توليته الخلافة ولو أنه أمر بالقبض عليهم لم يسلموا حتى نسفك آخـــر قطـــرة مـــن دمـــائهم فيكون ذلك صدع لوحدة المسلمين فأمتنع على عن تســـليمهم . فخـــرجت عائشـــة من مكة ومعها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير ومحمـــد بـــن طلحة [١] ومروان بن الحكم [٢] وغيرهم من بنى أمية الذين أعانوها

---

(١) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى أبو سليمان صحابي، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسماه بأسمه ويقال له " السجاد" لكثرة تعبده قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـــ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٧٧٨٣، الوافى بالوفيات ٣/ ١٧٤.

(٢) هو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الملك خـــليفة أموى ، هو أول من ملك من بنى الحكم بن أبى العاص، وإليـــــــه ينسب "بـــنو مروان" ودولتهم "المروانية" ولد بمكة ٢هـــ/ ٦٢٣م ، ونشأ بالطائف وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله فى خاصته وأتخذه كاتباً له. ولما قتل عثمان خرج =

ونـــادى مناديها فى الناس يطلب ثار عثمان فأجتمع نحو ثلاثة آلاف مقاتل فساروا نحو البصرة.

وبلغ علياً خبرهم وكان محتجزاً إلى الشام فأرسل إليهم ينصحهم فلم يجيبوه فتجهز لهم وسار فى أثرهم قاصداً البصرة وأنضمت لـــه جوع حتى بلغوا نحو تسعة آلاف مقاتل .

= مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه وقاتل مروان فى وقعة "الجمل" قتالاً شديداً وأنهزم أصحابه فتوارى وشهد صفين مع معاوية ثم أمنه على، فأتاه فبايعه وأنصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولى معاوية الخلافة، فولاه المدينة سنة ٤٢هـــ ، وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولى يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بنى أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان ثم عاد إلى المدينة وحدثت فتن كان من أنصارها وأنتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر ومات يزيد وتـــولى ابنه معاوية بن يزيد ثم أعتزل معاوية الخلافة وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية (فى شمال حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤ هـــ ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها وخرج إلى مصر وقد فشت فى أهلها البيعة لابن الزبير، فصالحوا مـــروان فـــولى عـــليهم ابنه عبد الملك ، وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره وتوفى فيها بالطاعون سنة ٦٥ هـــ / ٦٨٥م وقيل غطته زوجته " أم خالد " بوسادة وهو نائم ، فقتلـــته ، ومـــدة حكمه تسعه أشهر و١٨ يوماً وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها ﴿ قل هو الله أحد﴾ وكان يلقب "خيط باطل" لطول قامته واضطراب خلقه .

انظـــر المـــزيد فى : الإصابة ت ٨٣٢٠ ، أسد الغابة ٤/ ٣٤٨، تهذيب ٩١/١٠ ، الجمع ٥٠١ ، الكامل ٤/ ٧٤، تاريخ الطبرى ٧/ ٣٤ و ٨٣، البدء والتاريـــــخ ٦/ ١٩ ، السالمى ١/ ١٧٣، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٦ ، معجم قبائـــل العـــــرب ٣/ ١٠٧٨ .

أمـــا عائشة فأنها وصلت البصرة واصطف لهما الناس فى الطريق فقالوا : (يـا أم المؤمنين ما الذى أخرجك من بيتك) وعلت أصواتهم بهذه الكلمة وأكثرها عليها فقالت : (أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل مظـلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل، وأن من الـرأى أن ننظر إلى قتلة عثمان فيقتلون به ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب) فلما أتمت قولها قال فريق من البصريين : صدقت وقال آخرون : كذبت وانقسموا إلى قسمين قسم أتفق مع المطالبين بدم عثمان وهم الأكثر وقسم عدهـم هـؤلاء مـن الخوارج ولم يزل الناس يقولون ذلك (صدقت كذبت) حتى ضـرب بعضـهم وجوه بعض . ورد على عائشة رجل من عبد القيس فنالوا منه ونـتفوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا وهم مجتمعون فى مربد البصرة [١] فجـاء رئيس شرطة البصرة حكيم بن جبلة إلى الأمير عثمان بن حنيف ودعاه إلى قتال أصحاب عائشة فأبى عثمان . وكان حكيم عند نزول جيش عائشة فى الخريبة قد أشار على عثمان بمنعهم من دخول البصرة فأبى وقال : (ما أدرى ما رأى أمير المؤمنين فى ذلك) فدخلوا بدون مانع وكتب الأمير إلى الإمام على يخبره بقدومهم، وبما حدث يوم دخولهم البصرة.

ثم أتـى عبد الله بن الزبير إلى خزينة الرزق ليأخذ الطعام إلى أصحابه منها فجـاء حكـيم فى سـبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من أصـحابه وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ ثم ملك أصحاب عائشة بيت مال البصرة وقتلوا من الوكلاء خمسين رجلاً ، ويروى أنهم هجموا ليلاً على دار الإمارة وقتـلوا أربعـين رجلاً من حرس عثمان بن حنيف وقبضوا على عثمان وحبسوه

---

(١) مربد البصرة محلة فى البصرة من جهة البرية كان يجتمع فيها العرب كسوق عكاظ .

واستولوا على دار الإمارة وبيت المال. ثم أطلقوا [١] عثمان فسار إلى ملاقاة الإمام علـــى.

وبعـــد قليل وصل الإمام على بجيشه ونزل فى الزاوية من البصرة وأرسل القعقـــاع [٢] إلى الـــثائرين ينصحهم وظل يراسلهم ثلاثة أيام . وكتب إلى طلحة والزبير يدعوهما للتدبر فى مصير أمرهما . وكتب إلى عائشة يردها عما عزمت عليه. فكـــتب إليه الزبير يقول : (أنك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفى نفسك مـــنه حاجة فأقض لأمرك) وكتب إليه طلحة : (أنك لست راضياً دون دخولنا فى طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فأقض ما أنت قاض) وكتبت إليه عائشـــــة : (جل الأمر عن العتاب والسلام) .

وأصـــر طلحة والزبير وعائشة على الحرب فعبأ الزبير الجيش وتولى قيادته العامـــة وجعل طلحة على الفرسان وعبد الله بن الزبير على المشاة ومحمد بن طلحة على القلب ومروان بن الحكم على المقدمة وعبد الرحمن بن عبادة [٣]على الميمنـــة

---

(١) قيل أنهم أطلقوه بعد أن نتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه ، وقيل جلدوه أيضاً فقدم إلى على فقال: يا أمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وجئتك أمرداً . فقال الإمام : أصبت أجراً وخيراً .

(٢) هو القعقاع بن عمرو التميمى أحد فرسان العرب وأبطالهم فى الجاهلية والإسلام ، له صـــحبة ، شـــهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، وسكن الكوفـــة، وأدرك وقعة صفين فحضرها مع على . وكان يتقلد فى أوقات الزينة سيف هـــرقل " ملك الروم" ويلبس درع بهرام "ملك الفرس" وهما مما أصابه من الغنائم فى حروب فارس ، وكان شاعراً فحلاً. قال أبو بكر : صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل ومات بعد سنة ٤٠ هـــ / ٦٦٠ م .

انظر المزيد فى : الإصابة ٧١٢٩ .

(٣) ورد ذكره فى الكامل لابن الأثير وتاريخ الطبرى .

وهلال بن وكيع [١] على الميسرة .

وعبأ على جيشه فجعل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى المؤخرة هند المرادى [٢] وعلى الفرسان عمار بن ياسر[٣] .

---

(١) هو هلال بن وكيع بن بشر التميمى الدرامى خطيب من رؤساء بنى تميم ، كان ممن وفد على عمر بن الخطاب لما ولى . وقاتل يوم " الجمل " مع عائشة ، وقتل فيه سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

انظر المزيد فى : الجواهر المضيئة ٢/ ٢٠٧، الفوائد البهية ٢٢٣، التاج ١٠/ ١٤١، مفتاح السعادة ٢/ ١٢٤ ، نهاية الأرب ٣٥١، سبائك الذهب ٤٤ - ٤٩

(٢) هو هند بن عمرو الجملى (من بنى جمل بن كنانة بن ناجية) المردى تابعى . يقال له صحبة ، أدرك الجاهلية . وولاه عمر سنة ١٧ هـ ، على نصارى بنى تغلب وصحب عليا وروى عنه ، وشهد معه وقعة الجمل فقتله عمرو بن يثربى الضبى سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦م.

انظر المزيد فى : الكامل ٣/ ٩٨ ، الجرح والتعديل ق ٢ م ٤ ١١٧ ، الإصابة ت ٩٠٥٧ ، اللباب ١/ ٢٣٧ .

(٣) هو عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطانى أبو اليقظان صحابى من الولاة الشجعان ذوى الرأى . وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به . هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلقبه " الطيب المطيب " وفى الحديث " ماخير عمار بين أمرين إلا أختار أرشدهما وهو أول من بنى مسجداً فى الإسلام (بناه فى المدينة وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة " ، فأقام زمناً وعزله عنها وشهد الجمل وصفين مع على . وقتل فى الثانية وعمره ثلاث وتسعون سنة . وكان مولده سنة ٥٧ ق هـ / ٥٦٧ م ، ومات سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م ، وموته سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م . له ٦٢ حديثاً .

انظر المزيد فى : الإصابة ٢/ ٤٦٩ ، الإصابة ت ٥٧٠٦ ، المحبر ٢٨٩ و ٢٩٦ ،=

وعلى المشاة محمد بن أبي بكر[١] وسلم رايته إلى أبنه محمد بن الحنيفة [٢] .

=تاريخ الطبرى ٦/ ٢١ ، حليـــة الأولياء ١/ ١٣٩ ، السالمى ١/ ٢٣٤ ، ذيل المذيل ١١ ، صفة الصفوة ١/ ١٧٥، خلاصة تذهيب الكمال ١٣٧ .

(١) هـــو محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التيمى القرشي أمير مصر وابن الخـــليفة الأول أبي بكر الصديق ، كان يدعى " عابد قريش" ولد بين المدينة ومكـــة سنة ١٠ هـــ / ٦٣٢ م فى حجة الوداع ونشأ بالمدينة فى حجر على بن أبي طـــالب (وكـــان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه) وشهد مع على وقعتى الجمل وصفين. وولاه على إمارة مصر بعد موت " الأشتر" فدخلها سنة ٣٧ هـــ . ولما اتفق عـــلى ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر وأنصرف على يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر ، فدخلها حرباً، بعد معارك شديدة وأختفى ابن أبي بكر فعرف " معاوية بن جديـــج" مكانه فقبض عليه وقتله وأحرقه ، لمشاركته فى مقتل عثمان بن عفان وقيل لم يحرق ودفنت جثته مع رأسه فى مسجد يعرف بمسجد "زمام" خارج مدينة الفسطاط . مات سنة ٣٨ هـــ / ٦٥٨ م .

انظـــر المزيد فى : الولاة والقضاة ٢٦ — ٣١ ، الكامل ٣/ ١٤٠ ، تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣ ، المغرب فى حلى المغرب ط ق ٢ ٦٩ ، بدائع الزهور .

(٢) هـــو محمد بن على بن أبي طالب الهاشمى القرشى أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطـــال الأشداء فى صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عنهما. وكان يقول الحسن والحسين أفضل منى وأنا أعلم منهما. كان واسع العلم ورعاً، أسود اللون وأخبار قوته وشـــجاعته كـــثيرة. وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدى. وكانت الكيسانية (من فرق الإسلام) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى مولده سنة ٢١ هـــ / ٦٤٢م ، ووفاتـــه فى المدينة سنة ٨١ هـــ / ٧٠٠م ، وقيل خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك . =

فـــلما تهيأ الفريقان للقتال أمر على منادياً فنادى فى أصحابه : (لا يرمين أحـــد ســـهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحجة الـــبالغة) . ثم خرج على على بغلة النبى الشهباء ووقف بين الجيشين فنادى الزبير وطلحة فخرجا إليه فقال للزبير : (ما الذى حملك على هذا ؟) قال : (لأنى أراك لست أهلاً لهذا الأمر [1] فالتفت على إلى طلحة فقال : (جئت بفرس النبى تقاتل بهـــا وخبأت فرسك بالبيت أما بايعتنى) قال : (بايعناك والسيف على أعناقنا) . ثم قـــال عـــلى لهمـــا : (استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال أن تصـــدق فيها . هل تعلم رجلاً فى قريش أولى منى برسول الله ؟ وإسلامى قبل كافة الـــناس ؟ وكفاينى رسول الله كفار العرب بسيفى ورمحى ؟ ، وعلى برائق من دم عـــثمان، وعـــلى أنى لم استكره أحداً على بيعة وعلى أنى لم أكن أحسن قولاً فى عثمان منكما) ثم وجه عتابه نحو الزبير وذكره بأمور كان قد نسيها فرق له الزبير، أما طلحة فأنه أغلظ له القول فى الجواب، ثم أنصرفوا إلى مواضعهم.

وأراد عـــلى حقن الدماء فأرسل من ينصح الثائرين ويردعهم فجرت بين الفـــريقين مراسلات حتى كاد الصلح أن يتم بها ، وشاع بين الجيشين خبر الصلح فأستبشـــروا بالخير. فلما جن الليل أجتمع الذين أشتركوا فى قتل عثمان وتشاورا عـــلى انتشـــاب الحـــرب لأنهم خافوا أن تم الصلح أن يقتلوا بعثمان فأوقدوا نار الحـــرب مع الناس فجفل الناس وتصادموا وهجم بعضهم على بعض واستعرت نار

= انظـــــر المزيـــد فى : طبقات ابن سعد ٥/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٤٩ ، صـــفة الصفوة ٢/ ٤٢ ، حلية الأولياء ٣/ ١٧٤ ، البدء والتاريـــــــخ ٧٥/٥، نزهة الجليس ٢/٢٥٤.

(١) ويروى أنهما اعتنقا وبكيا فقال على : (يا ابا عبد الله ما جاء بك ههنا ؟) قـــال : (جئت أطلب دم عثمان) فقال على : (تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان) .

الحـــرب ونسب كل فريق على الفريق الآخر الغدر ، وأقبل كعب بن سور[١] حتى أتـــى عائشـــة فقـــال : أدركى فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك) . فركـــبت على جملها فى هودج قد ضربت عليه صفائح الحديد حتى لاتخرقه النبال فتصـــيبها وبرزت من البيوت حتى وقفت فى وسط جيشها والناس يقتتلون. فقال الزبير لابنه عبد الله : (يا بنى عليك بحر بك أما أنا فراجع إلى بيتى) فقال عبد الله : (الآن وقـــد الـــتقت حلقتا البطان وأجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها) فقـــال الـــزبير : (يـــا بنى لا تعد هذا منى جبناً فو الله ما فارقت أحداً فى جاهلية الإسلام) قال فما يردك : قال : (ما ان علمته كسرك) .

فأنصرف الزبير إلى البصرة ومنها سار قاصداً مكة فقتله عمرو بن جرموز المجاشعى [٢] غدراً [٣]، بوادى السباع فتولى القيادة العامة عبد الله بن الزبير ، بينما عائشـــة واقفـــة إذا فاجئتها الهزيمة وشرعت جموعها تفر نحو البصرة فاطافت الخيل بـــالجمل وكان البصريون يحمونه ويقاتلون دونه إكراماً للتى عليه . فقالت عائشة لكعب بن سور : (خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فأدعهم إليه) وناولته مصحفاً

---

(١) هـــو كعب بن سور بن بكر الأزدى تابعى من الأعيان المقدمين فى صدر الإسلام ، بعثه عمـــر قاضـــياً لأهل البصرة وعاملاً له عليها وأقره عثمان . فأقام إلى أن كانت وقعة الجمـــل (بـــين على وعائشة) فأعتزل الفتنة . فقيل لعائشة : إن خرج معك كعب لم يتخـــلف مـــن الأزد أحد ، فركبت إليه ، فكلمته فأخذ مصحفه ونشره ، وخرج بين الصـــفين يذكر الفريقين ويدعوهم إلى السلام والقتال ناشب، فجلده سهم فقتله سنة ٣٦ هـــ / ٦٥٦ م .

انظـــر المزيد فى : الإصابة ت ٧٤٩٥ ، أخبار القضاة ١/ ٢٧٤ - ٢٨٣ ؛ رغبة الآمل ٨/ ١٥٢ .

(٢) ورد ذكره فى الكامل وتاريخ الرسل والملوك .

(٣) قتله غدراً وهو قائم يصلى فى وادى السباع وهو المحل الذى فيه قبر طلحة اليوم .

فأستقبل القوم فرموه رشقاً واحداً فقتلوه ورموا عائشة فى هودجها فجعلت تنادى (البقية البقية يا بنى) ويعلو صوتها (الله الله أذكر والله والحساب) فيأبون إلا قدماً وبالأخص أهل الكوفة فلما رأى المنهزمون ذلك عادوا ورجعوا فى أمر جديد وصارت عائشة تشجعهم على القتال وتحضهم على بذل أرواحهم فى سبيل نيل الانتصار فأقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فتقاتلوا وكان طلحة قد قتل[1] وجعل القوم يتقاتلون على زمام الجمل هذا يأخذه ليأسر عائشة والآخر يأخذه ليخلصها حتى ضاع الزمام بين الأيدى ومات دون الجمل خلق كثير من الفريقين وأخذ الزمام سبعون قرشياً ما نجا منهم واحد (ويروى تسعون) وصار الناس يتساقطون تحت الجمل وعائشة تنادى (البقية البقية) .

فلما رأى على اشتداد القتال بين الطرفين أمر بالهجوم على الجمل وأخذه عنوة ونادى : (أعقروا الجمل) فهجموا هجمة عظيمة فعقروا الجمل فسقط، وأنهزم جيش عائشة فأمر على منادياً فنادى (لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور) وحمل الهودج من بين القتلى فإذا هو كالنقنفذ لما فيه من السهام فجاء على حتى وقف على الجمل وقال : لمحمد بن أبى بكر (أنظر أحية هى أم لا ؟) ويروى أنه قال له : (أنظر هل وصل عليها شيىء من جراحه ؟) فأدخل محمد رأسه فى هودجها . فقالت من أنت ؟ قال : (أخوك البر) فقالت (عقق) قال: يا أخية هل أصابك شيء ؟ فقالت : (ما أنت وذاك) . ويروى أنه لما سقط الجمل أجتمع القعقاع وزفر على قطع بطانه وحملاه وطافا به ثم وضعاه ولما أراد محمد أن ينظر على أخته عائشة مد يده فى الهودج فقالت عائشة : (من هذا أحرق الله يده) فقال لها (قولى فى الدنيا) فقالت (فى الدنيا) . ثم أتاها على فقال :

---

(١) كان قد أصابه سهم فى رجله وهو ينادى (عباد الله الصبر الصبر : اللهم خذ لعثمان منى حتى نرضى فلما ثقل دخل البصرة فمات فيها) .

(كيــف أنت يا أماه ؟) قالت (بخير) قال : (يغفر الله لك) قالت (ولك) فلما كــان الليل أدخلها أخوها محمد البصرة بأمر على فأنزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى [١] على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة [٢]. وأنتهت هذه الحادثة بمكان الخريــبة بانتصــار الإمام على فى يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٦ هــ/ ٦٥٦م ، وكان اشتباكهم فى القتال فى يوم الخميس ١٥ من الشهر المذكــــور (ويروى فى ١١ منه) .

وقــتل من الطرفين زهاء عشرة آلاف[٣] وسميت وقعة الجمل لأنهم لم يروا منظراً مثل ذلك اليوم الذى تساقط الرجال فيه حول الجمل كتساقط الفراش على السراج . ولما هدأ الناس جهز على عائشة بكل ما ينبغى من زاد ومتاع وركائب[٤] وأخــتار لهــا أربعــين أمرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمداً وشرذمة من الجند وسيرها إلى مكة ومنها إلى المدينة بالاحترام اللائق بها .

ولما كان يوم مسيرها خرج الناس لتشيعها فخرجت يوم السبت غرة رجب سنة ٣٦ هــ ، فوقف لها الإمام على فودعتهم وقالت : (يابنى لا يعتب بعضنا على بعــض والله مــا كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها)

---

(١) هو عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعى من الكتاب فى صدر الإسلام وهو والد " طــلحة الطلحات" كان كاتباً على ديوان البصرة لعمر ثم لعثمان وشهد يوم الجمل مع عائشة وقتل فيه سنة ٣٦ هــ / ٦٥٦م .

انظر المزيد فى : المحبر ٣٧٧ ، الإصابة ت ٤٦٤١ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٢ .

(٢) ورد ذكره فى طبقات ابن سعد .

(٣) ويــروى خمسة آلاف من أصحاب عائشة . وقيل سبعة عشر ألفاً من أصحاب عائشة وألف وسبعون من أصحاب على .

(٤) ويرى أنه خصص للنفقة عليها أثنى عشر ألف درهم .

فقال صدقت والله كان بينى وبينها إلا ذاك وأنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة) ، وشيعها على بنفسه عدة أميال وسرح بنيه معها مسافة يوم . وقد ندمت عائشة على ما فعلت وعادت بخفى حنين. وهى أول سيدة عربية قادت الجيوش فى الإسلام.

إمارة عبد الله بن عباس على البصرة

ولما أنتهى على من وقعة الجمل وأستتب أمره فى العراق ولى على البصرة عبد الله بن عباس " هو ابن عمه " وذلك فى سنة ٣٦ هـ وسار هو إلى الكوفة فلما كانت سنة ٣٧ هـ وسار الإمام على لقتال معاوية فى صفين وسار عبد الله إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه [١] فوجه معاوية بن أبى سفيان

---

(١) هو زياد بن أبيه أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة من أهل الطائف أختلفوا فى أسم أبيه ، فقيل عبيد الثقفى وقيل أبو سفيان، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفى) فى الطائف سنة ١ هـ / ٦٢٢ م وتبناه عبيد الثقفى (مولى الحارث بن كلدة) وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم فى عهد أبى بكر وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ثم لأبى موسى الأشعرى أيام إمرته على البصرة ثم ولاه على بن أبى طالب إمرة فارس ، ولما توفى على أمتنع زياد على معاوية وتحصن فى قلاع فارس وتبين لمعاوية أنه أخوه من ابيه (أبى سفيان) فكتب إليه بذلك فقدم زياد عليه وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل فى ولايته إلى أن توفى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م قال الشعبى : ما رأيت أحداً أخطب من زياد . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيت أخصب نادياً ولا أكرم مجلساً ولا=

(بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر) فى سنة ٣٨ هـ ، عامر بن الحضرمى[١] "يـروى أنه عبد الله بن الحضرمى " فى جمع إلى البصرة ولما سيرة قال : "يا عامر أن جـل أهـل البصرة يرون رأينا فى عثمان وقد قتلوا فى الطلب بثارهم ودم إمامهم. فأنزل فأنزل فى مضر وتودد الأزد فأهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحـد سـواهم لأهـم كلهم ترابية فأحذرهم " . فسار ابن الحضرمى حتى وصل البصـرة فـنزل فى بنى تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وحثهم على الأخذ بثأر عثمان .

وبلغ ذلك زياداًوهو يومئذ نائباً عن عبد الله بن عباس أمير البصرة فكتب إلى الإمـام على بالخبر فأرسل إليه أعين بن ضبيعة التميمى [٢] ليفرق قومه عن ابن الحضرمى فأن أمتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه .

= أشبه سريره بعلانية من زياد . وقال الأصمعى : أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها أسم " الله " ومحا عنها أسم الروم ونقوشهم زياد . وقال العتبى : إن زياداً أول من أبتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان . وقال الشعبى : أول من جمع العـرافان وخراسان وسجستان والبحران وعمان، زياد . وهو أول من عرف العرفاء ورتـب النقباء وربع الأرباع بالكوفة والبصرة ، وأول من جلس الناس بين يديه على الكرسى من أمراء العرب ، وأول وال سارت الرجال بين يديه تحمل الحراب والعمد، كما كانت تفعل الأعاجم. وقال الأصمعى : الدهاة أربعة : معاوية للروية وعمرو بن العاص البديهة والمغيرة بن شعبة للمعضلة وزياد لكل كبيرة وصغيرة.

انظر المزيـد فى : تاريخ ابن خلدون ٣/٥ — ١٥، الكامل ٣/ ١٩٥، تاريخ الطبرى ١٦٢/٦ ، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٠٦ ، ميزان الاعتدال ١/ ٣٥٥، لسـان الميزان ٢/ ٤٩٣ ، البدء والتاريخ ٢/٦ ، الذريعة ١/ ٣٣١ ، خزانة البغدادى ٢/ ٥١٧.

(١) ورد ذكره فى الكامل ومروج الذهب .

(٢) ورد ذكره فى طبقات ابن سعد .

وكتب إلى زياد يعلمه ذلك . فلما قدم أعين نزل عند زياد وجمع رجالاً ثم سار إلى قومه فتبعه عدد قليل فنهض بمن معه لقتال ابن الحضرمى ومن معه فواقفهم يوماً ثم أنصرف فقتله قومه غدراً .

فلما قتل أعين أراد زياد قتال بنى تميم فأرسلت تميم إلى الأزد (إنا لم نعرض لجاركم فما تريدون منعناه) وكان زياد قد لجأ إلى الزد فأجاروه وحموه، فكتب زياد إلى الإمـــام علي يخبره بقتل أعين وما جرى ، فأرسل على جارية بن قدامة السعدى التميمي وبعث معه خمسين رجلاً من تميم (ويروى خمسمائة) وكتب إلى زياد يأمره بمعونـــة جاريـــة والإشارة عليه، فلما قدم جارية البصرة حذره زياد ما أصاب أعين فأقام جارية فى الأزد وقرأ كتاب على إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم . ثم سار جارية إلى قومه بنى تميم وقرأ عليهم كتاب على ووعدهـــم فأجابـــه الأزد وكثير من تميم فسار بمن تبعه لقتال ابن الحضرمى فالتقيا بالقـــرب من قصر سنبل السعدى وكان على خيل ابن الحضرمى عبد الله بن حازم الســـلمى فأقتتلوا ساعة فأنهزم ابن الحضرمى وتحصن بقصر سنبل [١] فأحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمى وسبعون رجلاً معه وعاد زياد إلى القصر ورجع إلى عملـــه بعد أن تغلب عليه ابن الحضرمى واضطره إلى الالتجاء بالأزد هرباً [٢] منه وعلى أثر ذلك عاد إلى البصرة عبد الله بن العباس .

---

(١) قصر سنبل كان مخفراً للفرس فلما فتح المسلمون العراق صار ملكاً لهم ثم صار لسنبل السعدى فعرف به وكان حوله خندق وكان بالقرب من البصرة .

(٢) ويروى أن ابن الحضرمى لم يتمكن من دخول البصرة فبقى حولها يشن الغارات وقيل أنه تغلب عليها وهرب منه زياد ولجأ إلى الأزد فأجاروه حتى ثاب الناس واجتمعوا فطرد ابن الحضرمى وأقام على عمله حتى عاد ابن العباس .

فــلما كــانت سنة ٤٠ هــ وشى أبو الأسود الدؤلى [١] على عبد الله بن عــباس فأرســـــل الإمام على إلى عبد الله يعاتبه ويحاسبه فى الخراج وكتب إلى أبى الأســود يأمره بمراقبة أمور البصرة ، فأغتاظ ابن عباس وكتب إلى الإمام على (ابعــث إلى عملك من احببت فأنى ظاعن عنه والسلام) وأستدعى أخواله من بنى هــلال بــن عامر [٢] فأجتمعت معه قيس كلها فسار من البصرة إلى مكة ، فضيع الإمــام عــلى زعــيماً كبيراً يتبعه عدد كبير كما ضيع أمثاله بتدقيقه الشديد فى محاســبتهم والمــبالغة فى المحافظــة على الدين فى الوقت الذى طمع فيه العمال فى

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى واضع عالم النحو ، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضرى الجواب ، من التابعين . رسم له على بن أبى طالب شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود وأخذه عنه جماعة . ولد سنة ١ ق هــ / ٦٠٥ م ، ومات سنة ٦٠٩ هــ / ٦٨٨م . وفى صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير .سكن البصرة فى خلا فة عمر، وولى إمارتها فى أيام على ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز، ولم يــزل فى الإمارة إلى أن قتل علي . وكان قد شهد معه " صفين " ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية فى إكرامة وهو فى أكثر الأقوال أول من نقط المصحف ، وله شعر جيد. مات بالبصرة .

انظــر المزيد فى : صبح الأعشى ٣/ ١٦١ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٠ ، الإصابة ت ٤٣٢٢ ، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠٤ ، المرزبانى ٢٤٠ ، إنباه الرواة ١/ ١٣ ، خزانة البغدادى ١/ ١٣٦ ، الذريعة ١/ ٣١٤.

(٢) انظــر المزيد فى : تاريخ ابن خلدون ٦/ ١١ — ٥٧ ، سبائك الذهب ٤٠ — ٤١ ، الاستقصاء ١/ ١٦٦ ، البيان والإعراب ٣٦ ، جمهرة الأنساب ٢٦١ — ٢٦٢ ، نهاية للقلقشندى ١٥٢ ، ٣٥٦ ، خلاصة تاريخ تونس ٩٣ — ٩٥ ، قبائل العرب فى مصر ١/ ٥٥ ، معجم قبائل انعرب ١٢٢١ .

الأحكـــام وفسدت نياتهم وأتخذ بعض أعدائه قتل عثمان ذريعة للوصول إلى عرش الخلافة ومنهم معاوية الذى ابتاع الأحزاب بالمال وأجتذب كبار الرجال بالدهاء .

ولمـــا اســـتقال عبد الله بن عباس من إمارة البصرة ولى الإمام على عليها حمـــران بـــن أبان فيقى على عمله إلى أن قتل الإمام فى الكوفة فى ١٧ رمضان سنة ٤٠ هــــ / ٦٦١ م ، وتولى الخلافة أبنه الحسن . فلما سلم الحسن لمعاوية الأمر وتـــنازل له عن الخلافة فى ربيع الأول سنة ٤١ هـــ / ٦٦١ م ، بعد أن حكم ستة أشهر عصى حمران بالبصرة [١].

البصرة فى عهد الأمويين

لمـــا استقل معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وتم له الأمر سنة ٤١ هـــ ووجه الولاة إلى الأمصار وكان حمران بن أبان قد تغلب على البصرة بعث معاوية بسر بن أرطـــاة [٢] بجيـــش فأنتزع بسر البصرة من حمران وتولى إمارتها ستة أشهر ثم عزله

---

(١) ويروى أنه وثب على البصرة وتغلب عليها فى أثناء تنازل الحسن لمعاوية .

(٢) هـــو بسر بن أطأة أو (ابن أبى أرطاة) العامرى القرشى أبو عبد الرحمن قائد فقال من الجـــبارين ، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديـــثين (فى مســـند أحمد) ثم كان من رجال معاوية بن أبى سفيان وشهد فتح مصر ووجهـــه معاوية سنة ٣٩ هـــ فى ثلاثة آلالف إلى المدينة فأخضعها وإلى مكة فأحتلها ، والى اليمن فدخلها. وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب على ، فقتل منهم جميعاً. وعاد إلى الشام ، فولاه معاوية على البصرة سنة ٤١ هـــ بعد مقتل على وصلح الحسن ، فمكث يسيراً وعاد إلى الشام فولاه البحر ، فغز الروم سنة ٥٠ هـــ فبلغ القسطنطينية ، وأصيب بعد ذلك فى عقله ، فلم يزل معاوية مقرباً له ، مدنيـــاً =

معـــاوية فى أواخــر هذه السنة (سنة ٤١ هـ) وولى على البصرة عتبة بــن أبى سفيان [1] وضم إليه خراسان وسجستان ثم عزله فى سنة ٤٣ هـ وأرسل بدله عــبد الله بن عامر بن كريز (الذى كان أميرها فى أيام عثمان وضم إليه خراسان. وكــان ابــن عامر هذا كثير الحلم لينا فطمع به أهل البصرة واستخفوا بالحكومة وخالفوا أوامرها فعزله معاوية فى سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م وبعث مكانه الحرث بن عبد الله الأزدى [2] (ويروى الحارث وهو من أهل الشام) . فلما وصل الحرث إلى

= منزلته وهو تلك الحال إلى أن مات سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، فى دمشق، وقيل فى المدينة عن نحو تسعين عاماً .

انظر المزيد فى : الإصابة ١/ ١٥٢ ، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٢٢٠ - ٢٢٥ ، ميزان الاعتدال ١/ ١٤٤ .

(١) هــو عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أمير مصر . وليها من قبل أخيه معاوية فقدمها سنة ٤٣ هـ ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً ، فأبتنى داراً فى حصنها القديم وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . وكان عاقلاً فصيحاً مهيباً من فحول بنى أمية ، شهد مع عثمان يوم الدار وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينه وحج بالناس سنة ٤١ هـ وسـنة ٤٢ هـ . قال الأصمعى : الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان .

انظر المزيد فى : الروض الأنف ١/ ١٢١ ، السيرة الحلبية ٢/ ١٣٨ ، نسب قريش ١٢٥ ، و١٥٣ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٢٢ - ١٢٤ ، رغبة الآمــل ٤/ ٣٣ ثم ٨/ ٥٩ أو ٢٧١ .

(٢) هــو الحــارث بن عبد الله بن وهب الأزدى النمرى الدوسى صحابى من العقلاء ذوى الــرأى . كان صديقاً لخالد بن الوليد قلما يفارقه ولخالد ثقة برأيه يستشيره فى أمره وشهد معه اليرموك ثم شهد صفين مع معاوية وولاه معاوية على البصرة سنة ٤٥ هـ فشكا أهلهــا ضعفاً فيه فأستعفى ولم تطل مدة إمارتــه وتوفى فى زمن معاوية=

البصـــرة وولى عـــلى شرطتها عبد الله بن عمرو الثقفي وأجتهد الحرث فى إصلاح الأمـــور فعجز وكثر النهب والسلب والقتل وأمتنع أكثر الناس عن تسليم الخراج واســـتخفوا بـــرجال الحكومة فلم يبق لها غير الاسم فعزله معاوية بعد أربعة أشهر وولى إمارة البصرة زياد بن أبيه وذلك فى سنة ٤٥ هـــ(١) .

إمارة زياد على البصرة

زياد ابن أبيه أو ابن سمية هو أحد دهاة العرب وساستها وخطباؤها وقادتها اســـتكتبه أبو موسى الأشعرى يوم كان أميراً على البصرة فى عهد عمر بن الخطاب ثم أستخلفه عبد الله بن عباس على البصرة مدة فى أيام الإمام على . فلما اضطربت فارس ولاه الإمام على عليها فتمكن بدهائه من إيقاع الصقاق بين الثائرين وما زال يضـــرب بعضهم ببعض حتى سكنت الفتن وزال الاضطراب وبقى على عمله حتى قـــتل الإمام على وتولى الحسن (٢) وزياد على فارس فلما تناول الحسن لمعاوية عن

= سنة ٥٠ هـــ / ٦٧٠ م .

انظر المزيد فى : تهذيب ابن عساكر ٣/ ٤٥١ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٣٠ .

(١) ويـــروى أنه ولى البصرة بعد الحارث سمرة بن جندب ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله وولى زياداً فى سنة ٤٥ هـــ ولكن ذلك غير صحيح .

(٢) هو الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخـــرهم وثانى الأئمة الأثنى عشر عند الإمامية، ولد فى المدينة المنورة سنة ٣ هـــ/ ٦٢٤ م ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم ، كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة. حج=

الخلافـة بعث معاوية إلى زياد يطالبه فى المال فكتب إليه (صرفت بعضه فى وجهه واستودعت بعضه للحاجة إليه وحملت ما فضل على أمير المؤمنين رحمه الله) فكتب إليه معاوية بالقدوم لينظر فى ذلك فأمتنع زياد . فلما ولى معاوية بسراً على البصرة أمـــره باستقدام زياد فجمع بسر أولاد زياد فى البصرة وحبسهم وهم عبد الرحمن وعـــبد الله وعـــباد، وكتب إلى زياد يقول : (لتقدمن أولاً قتلن بنيك) فأمتنع زياد وأعتزم بسر على قتلهم، فسار أبو بكرة (هو أخو زياد لأمه) إلى معاوية فلما قدم عـــليه قال : (أن الناس لم يبايعوك على قتل الأطفال وان بسراً يريد قتل بنى زياد) فكتب معاوية إلى بسر يأمره بالإفراج عنهم فأطلق سراحهم .

= عشرين حجة ماشياً . وقال أبو نعيم : دخل أصبهان غارياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ، ومعه عبد الله بن الزبير وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـــ ،اشار عـــليه بالمســـير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان فأطاعهم وزحف بمن معه وبلغ معاويـــة خبره ، فقصده بجيشه ، وتقارب الجيشان فى موضع يقال له " مسكن" بناحية مـــن الأنـــبار، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه فكتب إلى معـــاويـــة فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس سنة ٤١ هــ وسمى هذا العام " عام الجماعة" لاجتماع كلمة المسلمين فيه وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفى مسموماً (فى قول بعضهم) سنة ٥٠ هــ/ ٦٧٠ م ، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له احد عشر ابنا وبنت واحدة وإليه نسبة الحسنيين كافة .

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥ ، الإصابة ١/ ٣٢٨ ، تـــاريخ اليعقوبى ٢/ ١٩١، تهذيـــب ابـــن عساكر ٤/ ١٩٩ ، ذكر أخبار أصبهان ١/ ٤٤ و ٤٧ ، مقاتل الطالبين ٣١ ، حلية الأوليـــــاء ٢/ ٣٥ ، الكامل ٣/ ١٨٢ ، صفة الصفوة ١/ ٣١٩ ، تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٩ و ٢٩٢ ، ذيل المذيل ١٥ .

وخاف معاوية من زياد فصالحه وأستقدمه إلى الشام واستلحقه بنسب أبيه سفيان . ثم ولاه البصرة فى سنة ٤٥ هـ / ٦٦٧ م .

ولما قدم زياد البصرة دخل مسجدها وصعد منبره فأجتمع الناس فخطب خطبته البتراء [١].

الخطبة

أما بعد فأن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور التى ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول ، أنه ليس منكم إلا من طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات ، وأختار الفانية على الباقى، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوبة فى النهار لاتنصر، والعدد غير قليل. والجمع غير مفترق. ألم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار، قربتم القرابة، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على النكر. كل أمرئ منكم يرد عن سفهيه صنع من لايخاف عقاباً. ولا يرجو معاداً. فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم اطرقوا ورائكم كنوساً فى مكانس الريب. حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً . أنى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح

---

[١] سميت البتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد له والثناء .

بــه أوله . لين فى غيره ضعف وشدة فى غير عنف . وأنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى . والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصى. حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : أنج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم .

أن كذبــة الأمير بلقاء مشهورة . فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى. وقد كان بينى وبين قوم أحن فجعلت ذلك دبر إذنى وتحت قدمى . أنى لو عــلمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً. ولم أهتك له ستراً حــتى يــبدى لى صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره فأستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . أيها الناس أنا قد أصــبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفئ الله الذى خولنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا . ولكم علينا العدل فيما ولينا . فأستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

فــلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأدهم أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب. فقال زياد كذبت ذلك نبى الله داود .

واســتعمل زيــاد الشدة والعنف وجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشــبة فخافه الناس وساد الأمن وهدأت الأحوال . واستعمل عند دخوله البصرة عــلى شــرطته عــبد الله بن الحصين [١] وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل . وأســتكثر من الشرطة والجند فبلغ عدد الشرطة أربعة آلاف شرطى وعدد الجند ثمــانين ألــف فى البصــرة واستعان زياد فى تدبير شؤون الإدارة بجماعة من كبار

---

(١) هــو عــبد الله بن أبى الحصين الأزدى فارس ممن كان مع على بن أبى طالب فى حرب صفين قتل فيها سنة ٣٧ هـــ / ٦٥٧ م .

انظر المزيد فى : الكامل ٣/ ١١١، وقعة صفين ١٦٩ — ١٧٠ و ٢٩٨ .

الـــرجال ، منهم أنس [١] بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة [٢] وسمرة بن جندب [٣] وعـــبد الله بن الحصين" رئيس شرطة البصرة" فساد الأمن وسارت الأمور على أتم نظـــام وزادت عمـــارة البصرة وكثرت خيراها وتهافت إليها الناس من كل جانب

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله صحبة طويلة وحديث كثير . مات فى سنة ٩٣ هـــ .

انظر المزيد فى : أسد الغابة ١/ ١٥١ ، الإصابة ١/ ٨٤ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤ ، خلاصـــة تذهيـــب الكمال ٣٥ ، شذرات الذهب ١/ ١٠٠، طبقات الفقهاء ٥١ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ١٧٢ ، العبر ١/ ١٠٧ .

(٢) هـــو عـــبد الله بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد صحابى من القادة الـــولاة . أســـلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مؤتة وسكن البصرة وأفتتح سجستان وكـــابل وغيرهم ، وولى سجستان وغزا خراسان ففتح بها مفتوحاً ثم عاد إلى البصرة فـــتوفى فيها سنة ٥٠ هـــ / ٦٧٠ م ، كان أسمه فى الجاهلية " عبد كلال" وسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن له فى الصحيحين ١٤ حديثاً .

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٠ ، الإصابة ت ٥١٢٥ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٨٢، دول الإسلام للذهبى ١/ ٢٦ ، نسب قريش ١٥٠ .

(٣) هـــو سمرة بن جندب ين هلال الفزارى صحابى ، من الشجعان القادة. نشأة فى المدينة ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ولما مات زياد أقره معاوية عاماً أو نحوه ثم عزله وكان شديداً على الحرورية . وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وكتب " رسالة" إلى بنيه ، قال ابن سيرين : فيها علم كثير، مات بالكوفة وقيل بالبصرة سنة ٦٠ هـــ / ٦٧٩ م .

انظـــر المزيد فى : الإصابة ت ٣٤٦٨ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٦ ، المحبر ٢٩٥ ، الجمع ٢٠٢ .

ويــروى أنه ولى قضاء البصرة عمران بن الحصين [١] فاستقال فولى مكانه عبد الله ابن فضالة [٢] ثم أخاه عاصماً [٣] ثم زوارة بن أوفى [٤].

ولمــا مات المغيرة بن شعبة [٥] أمير الكوفة فى سنة ٥٠ هــ ، ويروى " فى ســنة ٤٩ هــ " ضم معاوية الكوفة إلى زياد وجمع له المصرين " البصرة والكوفة "

---

(١) هــو عمــران بن حصين أبو نجيد الخزاعى، كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم ، وولى قضاء البصرة . وكان الحسن يحلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين . حدث عنه زرارة والحسن ومحمد بن سيرين وآخرون. له أحاديث عدة فى الكتب، وكان من الباء الصحابة وفضلائهم. مات سنة ٥٢ هــ .
انظر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ٢٨١ ، الإصابة ٣/ ٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩ ، خلاصــة تذهيب الكمال ٢٥٠ ، شذرات الذهب ١/ ٥٨ ، العبر ١/ ٥٧ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٤٣ .

(٢) ورد ذكره فى تاريخ الطبرى .

(٣) ورد ذكره فى تاريخ اليعقوبى .

(٤) له ترجمة وافية فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

(٥) هــو المغــيرة بــن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقــادهم وولاهم صحابى يقال له " مغيرة الرأى" ولد فى الطائف سنة ٢٠ ق هــ / ٦٠٣ م ومــات سنة ٥٠ هــ / ٦٧٠ م وبرحها فى الجاهلية مع جماعة من بنى مالك فدخل الإسكندرية وافداً على المقوقس، وعاد إلى الحجاز . فلما ظهر الإسلام تردد فى قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هــ فأسلم وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها . وولاه عمر بن الخطاب على البصرة ، ففتح عدة بلاد وعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله ولما حدثــت الفتنة بين على ومعاوية أعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين . ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هــ / ٦٧٠ م . قال الشعبى : دهاة العرب أربعة : معاوية للأناة ، وعمرو بن العاص للمعضلات ، والمغيرة للبديهة ، وزياد بن =

وهـــى أول مـــرة ضمنا معاً أو أول مرة ضمت الولايتين لوال واحد، ثم ضم إليه خراسان وأضاف إليه سجستان ثم جمع له البحرين وعمان . فثبت زياد دعائم الملك لمعاويـــة. ومنذ ضمت إليه الكوفة فى سنة ٥٠ هـــ أخذ يقيم فى الكوفة ستة أشهر ومثـــلها فى البصـــرة [١] واســـتخلف على البصرة عند مسيرة إلى الكوفة سمرة بن جـــندب فظلم سمرة أهل البصرة حتى قيل أنه قتل ثمانية آلاف منهم فى مدة قصيرة فبلغ ذلك زياد فأنكر عليه عمله فعزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان .

ولما مات زياد بالكوفة فى رمضان فى سنة ٥٣ هـــ أقر معاوية على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله فى سنة ٥٥ هـــ وولى مكـــــــانه عبيد الله[٢]

= أبيـــه للصغير والكبير . وللمغيرة ١٣٦ حديثاً . وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالإمرة فى الإسلام .

انظر المزيد فى : الإصـــــابة ت ٨١٨١ ، أسد الغابة ٤/ ٤٠٦ ، تاريخ الطبرى ٦/ ١٣١ ، ذيـــل المذيـــل ١٥ ، الكامل ٣/ ١٨٢ ، الجمع ٤٩٩ ، معجم المرزبانى ٣٦٨ ، رغبة الآمل ٤/ ٢٠٢ ، المحبر ١٨٤ .

(١) وزيـــاد هو أول أمير سير بين يديه الرجال بالحراب والعمد فى الإسلام وأول من أتخذ الحـــرس خمسمائة لا يفارقون مكانه . وأول من جمع له العراقيين . وأول من شدد أمر الســـلطة وأول مـــن توخى الشدة والعنف. وأول من رتب المراتب فى الدخول على الخليفة أو الأمير وأول من قلد الفرس بلبس قباء الديباج . وأول من أتخذ الكراسى .

(٢) ويروى أن معاوية ولى على البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب فى سنة ٥٣ هـــ ثم عـــزله فى سنة ٥٤ هـــ وجعل مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان فعادت الفتن بالبصرة فعزله فى سنة ٥٥ هـــ وولى عبد الله بن زياد فقمع الفتن وأعاد الأمن وكان قبل ذلك على خراسان من قبل معاوية .

ابن زياد [١] ثم عزله فى سنة ٥٩ هـ وبعد أيام قليلة أعاده إليها .

ومات معاوية فى سنة ٦٠ هـ / ٦٨١ م ، وتولى بعده ولى عهده ابنه يزيد الأول فأقر عبيد الله على البصرة .

كان ابن زياد مخلص النية لأبى سفيان شديداً على أعدائهم بل أنه كان أشد من أبيه على الخوارج حتى قيل أنه قتل منهم يوم إمارته على البصرة عدداً عظيماً

---

(١) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه وال فاتح من الشجعان، جبار خطيب ولد بالبصرة سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م ، وكان مع والده لما مات بالعراق فقصد الشام، فولاه " عمه" معاوية خراسان (سنة ٥٣هـ) فتوجه إليها ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل، ففتح "راميش" ونصف " بيكند" . قال أحد من كانوا معه : ما رأيت أشد بأساً من عبيد الله : لقينا زحف من الترك ، فرأيته يقاتل فيحمل عليهم فيطعن فيهم ويغيب عنا ثم يرفع رأيته تقطر دماً وأقام بخراسان سنتين ونقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥ هـ فقاتل الخوارج وأشتد عليهم . وأقره يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب إليه " بلغنى أن الحسين بن على قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمصالح وأحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير أن لا نقاتل إلا من قاتلك وأكتب إلى فى كل ما يحدث" فكانت الفاجعة بمقتل الحسين رضى الله فى أيامه وعلى يده . ولما مات يزيد سنة ٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فتنقل مختبئاً إلى أن استطاع الإفلات إلى الشام وأقام مدة قليلة ، ثم عاد يريد العراق فلحق به إبراهيم بن الشتر فى جيش يطلب ثأر الحسين، فأقتتلا ابن الأشتر وذلك فى " خازر" من أرض الموصل وكان خصوم ابن زياد يدعونه " ابن مرجانه" وهى أمه . مات سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦م .

انظر المزيد فى : تاريخ الطبرى ٦/ ١٦٦ قم ٧/ ١٨ و ١٤٤، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، رغبة الآمل ٥/ ١٣٤ ، ٢١٠ ثم ٦/ ١١١ .

عـدأ الذيـن قتلهم صبراً فى سنة ٥٨ هـ وفيهم عروة بن أدية [١] أخو أبى بلال مـرداس بـن أدية [٢] وكان سبب قتله ان ابن زياد خرج فى رهان له فلما جلس ينـتظر الخيل اجتمع النـاس وفيهم عروة بن أدية فقال خمس كن فى الأمم قبلنا فقـد صرن فينا (أتبنون بكل ربع آية تعيشون وتتخذون مصانع لكم تخلدون وإذا بطشـتم بطشتم جبارين) فلما سمع ذلك ابن زياد ظن أنه لم يجترئ عليه إلا ومعه جماعـة مـن أصـحابه فقام وركب وترك رهانه، فلام الناس عروة وقالوا له واله ليقتلـنك فأخـتفى عروة فطلبه ابن زياد ثم قبض عليه فقتله ، فخرج مرداس أخو عروة فى أربعين رجلاً بالأهواز وأجتمع حوله جماعات فأرسل إليهم ابن زياد الفى مقاتل تحت قيادة ابن حصن التميمى فاندحر جيش ابن زياد .

وفى أيامه إمارة ابن زياد على البصرة قدم الكوفة مسلم بن عقيل [٣] داعية للحسـين بن على ، وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير[٤] فبلغ ذلك يزيد

---

(١) ورد ذكره فى تاريخ الطبرى .

(٢) ورد ذكره فى الكامل فى التاريخ .

(٣) هـو مسـلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم تابعى من ذوى الرأى والعلم والشجاعة، كان مقيماً بمكة وأنتدبه الحسين (السبط) بن على ليتعرف له حال أهـل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له، فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة ١٨٠٠٠ من أهلها وكتب للحسين بذلك فشعر به عبيد الله بن زيـاد (أمـير الكوفة) فطلبه، فمنعه الناس ، ثم تفرقوا عنه ، فأوى إلى دار امرأة من كندة فأخفته ، ولم يلبث أن عرف مكانه فقبض عليه ابن زياد فقتله سنة ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م .
انظر المزيد فى : الكامل ٤/ ٨ – ١٥ ، الأخبار الطوال ٢٣٣ ، تاريخ مختصر الدول ١٨٩ .

(٤) هـو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى أبو عبد الله أمير خطيب شـاعر من إجـلاء الصحابة من أهل المدينة له ١٢٤ حديثاً. وجهته نائـلة =

الأول فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى ابن زياد وكتب إليه يأمره بالقبض على مسلم وقتله أو نفيه من الكوفة ، وفى الوقت الذى ورد فيه كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وصل كتاب الحسين بن على إلى شيعته من أهل البصرة مع مولى له أسمه سلمان يقول لهم فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن على [1]

= (زوجة عثمان) بقميص عثمان ، إلى معاوية فنزل الشام وشهد صفين مع معاوية وولى القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ وولى اليمن لمعاوية ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر ، وعزله وولاه حمص واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ، فبايع النعمان لابن الأثير وتمرد أهل حمص فخرج هارباً ، فأتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله وهو أول مولود ولد فى الأنصار بعد الهجرة . قال ابن حزم : أفتتح " مروان" دولته بقتله وسيق إليه رأسه من حمص سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م وقيل قتل يوم مرج راهط قال سماك بن حرب : كان من أخطب من سمعت . له " ديوان شعر " وهو الذى تنسب إليه " معرة النعمان" بلد أبى العلاء المعرى ، كانت تعرف بالمعرة .

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٧ ، جمهرة الأنساب ٣٤٥ ، أسد الغابة ٥/ ٢٢، الإصابة ت ٨٧٣٠ ، حسن الصحابة ١٦٠ ، فتوح البلدان ١٣٨ .

(١) هو الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى العدنانى أبو عبد الله السبط الشهيد ابن فاطمة الزهراء . وفى الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ولد فى المدينة سنة ٤ هـ / ٦٢٥ م . ونشأ فى بيت النبوة وإليه نسبة كثيرة من الحسينيين وهو الذى تأصلت العداوة بسببه بين بنى هاشم وبنى أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين . وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما مات وخلفه ابنه يزيد ، تخلف الحسين عن مبايعته ، ورحل إلى مكة فى جماعة من أصحابه ، فأقام فيها أشهراً ودعاه إلى الكوفة أشياعه (وأشياع أبيه وأخيه من قبله) فيها ، على أن يبايعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم فى جيش متهيىء للوثوب على الأمويين، فأجابهم وخرج من مكة فى مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله . وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشاً أعترضه فى كربلاء (بالعراق – قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح=

إلى مالك بن مسمع [1] .

= شـديدة، وسـقط عن فرسه ، فقتله سنان بن أنس النخعى (وقيل الشمر بن ذى الجوشـن) وأرسـل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة الأمويين) فتظاهر يزيد بالحـزن عليه . واختلفوا فى الموضع الذى دفن فيه الرأس فقيل فى دمشق ، وقيل فى كربلاء ، مع الجثة وقيل فى مكان آخر، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه وكان مقتله رضى الله عنه يوم الجمعة عاشر المحرم ، وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيما الشيعة .

انظـر المـزيد فى : تهذيـب ابن عساكر ٤/ ٣١١، خطط مبارك ٥/ ٩٣ ، مقاتل الطالـبيين ٥٤ ، ٦٧ ، الكـامل ٤/ ٩٩ ، تـاريخ الطبرى ٦/ ٢١٥ ، تاريـخ الخميـس ٢/ ٢٩٧ ، تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢١٦ ، صفة الصفوة ١/ ٣٢١ ، ذيـل المذيل ١٩ ، حسن الصحابة ٨٧ .

(١) هـو مالك بن مسمع بن شيبان البكرى الربعى أبو غسان سيد ربيعة فى زمانه ، وكان مقدمـاً رئيسـاً . ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . قال المبرد : وإليه تنسب المسامعة وذكر المسعودى أنه كان فى جملة من انضاف إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسـيد حـين قدم البصرة من مكة ، ناكثاً بيعة عبد الله بن الزبير وقاتلهم مصعب بن الزبير، فانهزموا بعد حروب إلى الشام سنة ٧١ هـ. وقال ابن قتيبة : لم يل شيئاً قط ، وهـلك فى أول خلافـة عـبد الملك بن مروان بالبصرة، وعقبه كثير. وكان أعور ، أصـيبت عينه فى معركة بالجفرة (موضع بالبصرة) ويقال ساد الأحنف بحلمه ، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له . مات سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م .

انظـر المزيد فى : الإصابة ت ٨٣٦١ ، المعارف ١٨٤ ، النقائض ١٠٩٠ ، المحبر ٣٠٢ ، معجم مـا أستعجم ٣٨٧ ، رغبة الآمل ٦/٣ و ٤٨ – ٥١ ، مروج الذهب ٥/ ٢٤١ ، الأغانى ١٠/ ٧٢ ثم ١١/ ٢٨٣ ، الكامل ٤ / ١٠٤ .

والأحنف بـــــــن قيس [١] والمنـــــــذر بن الجــــــــارود [٢]

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرى السعدى المنقرى التميمى أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب المثل فى الحلم ولد فى البصـــرة سنة ٣ ق هـــ / ٦١٩ م وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه فى المدينة، فاستبقاه عمر ، فمكث عاماً ، وأذن له فعاد إلى البصـــرة، فكـــتب عمر إلى أبي موسى الأشعرى " أما بعد فأذن الأحنف وشاوره وأسمع منه . إلخ " وشهد الفتوح فى خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع على . ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه . فأغلظ له الأحنف فى الجواب ، فسئل معاوية عـــن صـــبره عليه ، فقال : هذا الذى إذا غضبت غضب له مائة ألف لا يدرون فيم غضـــب. وولى خراسان . وكان صديقاً لمصعب بن الزبير (أمير العراق) فوفد عليه بالكوفـــة فـــتوفى فيها سنة ٧٢ هـــ / ٦٩١م وهو عنده ، أخبار كثيرة جداً وخطبة وكلماته متفرقة فى كتب التاريخ والأدب والبلدان ، حرية بالجمع . قال رجل ليحيى البرمكى : أنت والله أحلم من الأحنف بن قيس ، فقال يحيى : ما يقرب إلينا من أعطانا فوق حقنا .

انظـــر المـــزيد فى : طبقات ابن سعد ٦٦/٧ ، وفيات ابن خلكان ١/ ٢٣٠ ، ذكر أخـــبار أصـــبهان ١/ ٢٢٤ ، جمهرة الأنساب ٢٠٦ ، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠ ، السير ٨١ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩ ، تاريخ الإسلام ٣/ ١٢٩ .

(٢) هـــو المـــنذر بن الجارود (وأسمه بشر) بن عمرو بن خنيس العبدى أمير من السادة الأجـــواد ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع على رضى الله عنه وولاه على إمرة إصطخر . ثم بلغه عنه ما ساءه، فكتب إليه " أما بعد فإن صلاح أبيك غـــرنى منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله ، فأذا أنت فيما رقى إلى عنك لا تـــدع لهـــواك انقياداً ولا تبقى لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك إلخ . كما فى نهج البلاغة. وعزله. ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند سنة ٦١ هـــ فمات فيها آخر السنة ويقال أنه كان يرى رأى الخوارج .

=

ومسعود بن عمرو [١] وقيس بن الهيثم [٢]، سلام عليكم . أما بعد أنى أدعوكم إلى إحيـــاء معالم الحق وإماتة البدع فأن تجيبوا تهتدوا سبيل الرشاد والسلام) ، فكتموه

= انظـــــــــر المزيد فى : الإصابة ت ٨٣٣٦ ، جمهرة الأنساب ٢٧٩ ، رغبة الآمل ٧/ ١٤٤، الأغانى ١/ ١٧٧ ، نهج البلاغة ٤/ ٣١٤ .

(١) هـــو مسعود بن عمرو العتكى زعيم من بنى عتيك من الأزد من اليمانيين كان رئيس الأزد وربيعة فى البصرة وهو الذى سهل لأمير البصرة " عبيد الله بن زياد" الهرب إلى الشـــام وذلك أنه ولما وصل إلى البصرة نعى يزيـــد بن معاوية . انتفض أهلها على " عبيد الله " وأرادوا قتله ، فبحث عن مكان يحميه ، فلم يجد وكان معه الحارث بن قيس ابن صهباء الجهضمى الأزدى. فقال له عبيد الله : " قد علمت منزلة مسعود بن عمرو فى قومـــه ، وشـــرفه وسنه وطاعة قومه له ، فأذهب بى إليه : فدخلا على مسعود ، فأجاره وأرسل معه مائة من الأزد أوصلوه إلى الشام وخلت البصرة من أمير ، فأنفرد بنو تميم بمبايعة " عبد الله بن الحارث الهاشمى" وأدخلوه دار الإمارة ولم يرض به كبار الأزد وربيعـــة ومصر، فرأسوا عليهم العتكى . وركب فدخل من فى السجون . وفى جملتهم جماعة من الحرورية (من الخوارج) أكثرهم من بنى تميم حملوا سلاحهم ودخلوا المســـجد . وكان العتكى أشار مرة على عامل البصرة بحبس نافع بن الأزرق وعطية الأسود (وهما من رؤوس الأزراقة) فحقدوا عليه فبينما هو مسترسل فى خطبته ، يأمر بالسنة وينهى عن الفتنة ، أحاطوا به وهو غافل عنهم فقتلوه سنة ٦٤ هـــ/ ٦٨٤ م . انظر المزيـــــد فى : نقائض جرير والفرزدق ١١٣ ، جمهرة الأنساب ٣٥٠ ، الكامل ٤/ ٥٣ – ٥٥ ، رغبة الآمل ٢/ ١٢٥ – ١٢٨ ثم ٧/ ٢٣٢ .

(٢) هو قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمى من الخطباء الشجعان من أعيان البصرة فى صدر الإسلام . كان من أنصار بنى أمية فيها ثم قام بدعوة " عبد الله ابـــن الـــزبير" وصحب أخاه " مصعباً" فى ثورته إلى أن قتل سنة ٨٥ هـــ / ٨٠٤ م فتوجه إلى عبد الملك بن مروان فعفا عنه وأكرمه توفى بالبصرة . =

جميعـــاً إلا المـــنذر بن الجارود فأنه فشاه لتزويجه ابنته هند من ابن زياد فدخل عليه وأخبره بالكتاب فطلب ابن زياد رسول الحسين وقبض عليه وقتله .

وعلى أثر ذلك استخلف ابن زياد على البصرة أخاه عثمان بن زياد وسار هـــو إلى الكوفـــة فخرج لتشييعه جماعة من أشراف البصرة فيهم المنذر بن الجارود وشـــريك بن الأعور[1] ، فوصل ابن زياد الكوفة وجرى ما جرى هناك من خيانة الكوفيـــين وغدرهـــم وقـــتل مسلم ثم قتل الحسين بن على فى محرم سنة ٦١ هـــ وسودت هذه الحادثة المؤلمة صحائف تاريخ بنى أمية .

وعـــلى أثـــر حادثة كربلاء ظهرت الخوارج وعظم أمرها فوجه ابن زياد جيشاً لقتالهم بالأهواز فاندحرت عساكره فأغتاظ حتى كان لا يدع بالبصرة أحداً ممن يتهم برأى الخوارج إلا قتله حتى قيل أنه قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل من البصريين .

ولما مات يزيد الأول فى سنة ٦٤ هـــ / ٦٨٤ م تفاقم أمر الخوارج وزادوا بمن التحق بهم من البصريين وغيرهم ممن كانوا على رأيهم فاضطربت البصرة وصار أهلها فرقاً وأحزاباً وكان ابن زياد يومئذ بالبصرة فلما بلغه نعى يزيد نادى الصلاة

=انظر المزيد فى : الكامل ٤/ ٥٣ و ٩٥ و ١٠٤ و ١١٩ و ١٢٦ ، جمهرة الأنساب ٢٥٠ ، مروج الذهب ٥ / ١٩٥ .

(١) هـــو شـــريك بن جدير التغلبى أحد الأبطال من أصحاب على ، شهد معه " صفين" وأصيبت عينه وأقام فى بيت المقدس بعد على ، فلما بلغه مقتل (الحسين) لبث ينتظر من يطالب بثأرة، فظهر المختار الثقفى يدعو إلى ثار الحسين فأقبل إليه شريك . وسار مـــع إبراهـــيم بن الأشتر لقتال ابن زياد فى أرض الموصل . فكانت له فى هذه الحرب مواقـــف هائـــلة وقتل فيها سنة ٦٧ هـــ / ٦٨٦ م بعد أن شهد مصرع ابن زياد .
انظر المزيد فى : الكامل فى التاريخ ٤/ ١٠٣ .

جامعـــة ، فأجتمع الناس بالمسجد فصعد ابن زياد المنبر وقال : (يا أهل البصرة أن مهاجرنا إليكم ودارنا فيكم ومولدى فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلكم إلا ســبعين ألفــاً ولقد أحصى اليوم مائة ألف ، وما كان يحصى ديوان عمالكم إلا تســعين ألفاً ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً وما تركت لكم قاطبة من اخافه عــليكم لا وهو فى سجنكم ، وأن يزيد قد توفى وقد أختلف الناس بالشام وأنتم اليــوم أكــثر الــناس عدداً وأعرضهم فناء وأغنى الناس وأوسعهم بلاداً فأختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فأن أجتمع أهــل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وأن كرهتم ذلك كنتم على أحد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم إلى أحد من أهــل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم) ، فقالوا له : قد سمعنا مقالتك وما نعــلم أحــداً أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك، فأبى عليهم ذلك ثلاثاً ثم بسط يده فــبايعوه بالإمارة وانصرفوا عنه يمسحون أيديهم بحيطان المسجد وعبد الله لا يشعر بهم ويقولون ، أيظن ابن مرجانة أنا ننقاد له فى الجماعة والفرقة .

وظن ابن زياد أنهم صدقوه وأنهم بايعوه بنية خالصة فبعث إلى أهل الكوفة من يطلب بيعتهم له فأبوا ذلك وأمروا عليهم عامر بن مسعود حتى يجتمع الناس ثم كتــبوا إلى ابن الزبير بمكة يبايعونه بالخلافة ، فلما علم البصريون بما فعله الكوفيون خــلعوا طاعــة ابن زياد وسخروا منه وأحتقروه (ويروى أنهم هموا بقتله) فخاف عــلى نفســه فأســتجار بالحرث بن قيس الأزدى ثم بمسعود بن عمرو سيد الأزد فأجــاراه ثم هــرب بحاشيته من العراق إلى الشام بعد أن أخذ من بيت المال مليوناً وتسعمائة ألف درهم .

واجتمعت كلمة البصريين على توجيه الإمارة لعبد الله بن الحرث بن نوفل فولـوه عليهم إلى أن يجتمع الناس على إمام وذلك فى السنة نفسها ٦٤ هـ وهم يومئذ لا إمام لهم والخوارج قد صاروا على قاب قوسين أو أدنى منهم .

وخـاف البصريون على أنفسهم من الخوارج فأجتمعوا على توجيه مسلم ابـن عـبيس القرشى لقتالهم وجمعوا له خمسة آلاف فارس وسيروه فالتقى مسلم بـالخوارج فكسـروا جيشـه ووقع هو قتيلاً فى المعركة فى محل يسمى الدولاب ، فجهـزوا جيشاً ثانياً (زهاء عشرة آلاف راجل) وأودعوا القيادات إلى عثمان بن معمـر القرشـى وسيروه لقتال الخوارج فلحقهم بفارس فدارة الدائرة على جيش البصريين ووقع قائده عثمان قتيلاً .

خروج البصرة
مـــن يـــد الأمـــويين

وعــلى أثر ما تقدم كتب البصريون إلى عبد الله بن الزبير بمكة يعلمونه أن لا إمــام لهــم ويبايعونه بالخلافة ويسألونه أن يوجه إليهم رجلاً من قبله يتولى أمر البصرة [١] فوجه إليهم عمرو بن عبد الله بن عمر التميمى وذلك فى سنة ٦٤ هـ وكــان البصــريون يومئذ منقسمين إلى فرق وأحزاب فأضطرب أمر الإدارة على الأمــير فعزله ابن الزبير وولى مكانه الحرث بن أبى ربيعة المخزومى وذلك فى سنة ٦٥ هــ (وسمــاه بعضــهم الحارث) . ولما وصل الحرث إلى البصرة جمع أهلها واستشارهم فى رجل يوليه حرب الخوارج ، فطلبوا القائد المشهور المهلب بــن أبى صــفرة [٢] وكــانت الخــوارج المعروفين بالأزراقة قد استولوا حينذاك على

---

(١) وكان عبد الله بن الزبير قد خرج على يزيد الأول بمكة بعد مقتل الحسين واجتمع عليه أهل مكة وبايعوه بالخلافة فدانت له بعض الأقطار فلما مات يزيد قوى أمر ابن الزبير وبايعه أهل البصرة والكوفة .

(٢) هو المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق الأزدى العتكى أبو سعيد أمير بطاش جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق ، ولد فى دبا سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ونشأ بالبصــرة وقــدم المدينــة مع أبيه فى أيام عمر . وولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير وفقئت عينه بسمرقند وانتدب لقتال الأزارقة وكانوا قد غلبوا على البلاد ، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف فى خراجه تلك السنة ، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاماً لقى فيها منهم الأهوال وأخيراً تم له الظفر بهم ، فقتل كثيرين وشرد بقيتهم فى البلاد ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٧٩ هـ ، ومات=

أصفهان والأهواز وما بينهما وتوجهوا نحو البصرة حتى أقتربوا منها ، وكان المهلب قد قدم من عند عبد الله بن الزبير إلى البصرة وقد ولاه خراسان ، فأجتمع أشراف البصـــرة وأميرهـــا الحرث وأحضروا المهلب وطلبوا منه أن يتولى حرب الخوارج فأعـــتذر بعهده على خراسان أولاً ثم لبى طلبهم وانتخب من البصريين ممن يعرف شـــجاعته ونجدته أثنى عشر ألف مقاتل (ويروى عشرون ألفاً)[1] ويار حتى التقى بالخوارج وصار يزيحهم مرحلة بعد مرحلة حتى أنتهوا إلى مترل من الأهواز وهناك حدثت بين الفريقين معركة هائلة كاد أهل البصرة ينهزمون لولا ثبات المهلب وقوة جأشـــة . وأصابت المهلب ضربة فى وجهه أغمى عليه منها ، فظن أصحابه قد مات فهـــاجموا وهجمـــوا هجمة المستميت فقتلوا عدداً كبيراً من الخوارج فيهم زعيمهم نافع بن الأزرق (وقيل عبيد الله بن الماحوز) وأنهزم الباقون هزيمة منكرة إلى كرمان وجانب أصفهان .

وبلغ أهل البصرة أن المهلب قد قتل فرجت المدينة بأهلها وهم أمير البصرة الحـــرث أن يهرب، وبينما هم فى خوف وأضطراب إذا قبل رسول المهلب يبشرهم بســـلامته وبالنصر ومعه كتاب المهلب يعرفهم بالظفر وبما حدث فأستبشروا بذلك

= سنة ٨٣ هـــ / ٧٠٢ م ، كان شعاره " هم لا ينتصرون" وهو أول من أتخذ الركب من الحديد — وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب — وأخباره كثيرة .

انظر المزيد فى : الإصابة ت ٨٦٣٥ ، الوفيات ٢/ ١٤٥ ، رغبـــة الآمل ٢/٢٠١ و ٢٠٤ و ٣/ ٦ — ١١٦ ، الكامل ٤/ ١٨٣ .

(١) ويروى أن أمير البصرة وأشرافها كتبوا إلى ابن الزبير فى تسير المهلب فكتب ابن الزبير إلى المهـــلب وهو يومئذ بالبصرة يأمره بحرب الخوارج ، والمهلب هذا هـــو الذى سماه ابـــن الـــزبير ســـيد أهل العراق وهو من أكبر قواد ذلك العصر وتوفى سنة ٨٣ هـــ بخراسان وكان والياً عليها .

واطمئـــنوا إليه وأقام أمير البصرة بعد أن هم بالهرب وأرسل كتاب المهلب إلى ابن الزبير وذلك فى سنة ٦٥ هـــ وبقى المهلب يطارد الخوارج مدة طويلة .

وفى أيام إمرة الحرث بن أبى ربيعة أرسل مروان بن الحكم فى سنة ٦٥ هـــ جيشـــين أحدهما يقوده ابن زياد إلى اخضاع الجزيرة وولاه إياها على أن يسير بعد فـــتحها إلى العراق لأخذه من ابن الزبير، والثانى يقوده حبيش بن دلجة لقتال عامل ابـــن الزبير فى المدينة (يثرب) فأنتصر حبيش على أمير المدينة فأرسل أمير البصرة الحرث جيشاً من البصرة تحت قيادة حنيف التميمى نجدة لأمير المدينة فأندحر جيش حبيش ووقع هو قتلاً فى المعركة وعادت فلول جيشه إلى الشام . أما ابن زياد فأنه لما وصل الجزيرة اتاه كتاب عبد الملك بن مروان يخبره بموت أبيه مروان ويستعمله عـــلى ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق، فسار حتى إذا كان بعين الـــوردة قابلته عصابة كبيرة مقبلة من العراق تحت قيادة سليمان بن صرد الخزاعى الكوفى [(١)] فتقاتلوا فقتل سليمان ومعظم جيشه وأقام ابن زياد هناك يترقب الفرص للزحف على العراق .

أمـــا عـــبد الله بن الزبير فأنه لما بلغه ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب عزله وولى البصرة عبد الله بن معمر وذلك فى سنة ٦٥ هـــ وفى هذه السنة حدث طاعون بالبصرة وفتك بأهلها فماتت به أم الأمير عبد الله ثم مات هو أيضاً فولى ابن الزبير على البصرة ابنه حمزة وكان ضعيف الرأى والتدبير فعجز عن إدارة

---

(١) سليمان هذا نهض بالكوفة للأخذ بثأر الحسين فأجتمع حوله خلق كثير وسموا أنفسهم الـــتوابين وهـــم الذيـــن ندموا على عدم نصرهم الحسين بن على فقاموا للأخذ بثأره وساروا من الكوفة لقتال ابن زياد ولكنهم تمزقوا فى الوقت الذى قام فيه المختار مطالباً بدم الحسين فى العراق وأنتقم من قاتليه .

الإمـــــــارة واحتقره البصريون فعزله أبوه وأعاد الحرث بن أبي ربيعة وذلك فى سنة ٦٦ هـــ .

وفى أثناء تلك الفوضى السائدة فى العراق وغيره كان قد خرج المختار بن عبيد الثقفى [1] بالعــــراق مطالباً بدم الحسين بن على فأستولى على الكوفة فى

---

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفى أبو إسحاق من زعماء الثائرين على بنى أمية وأحد الشجعان الأفذاذ. من أهل الطائف أنتقل منها إلى المدينة مع أبيه ، فى زمن عمر. وتوجـــه أبـــوه إلى العراق فأستشهد يوم الجسر وبقى المختار فى المدينة منقطعاً إلى بنى هاشـــم وتزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخته " صفية بنت أبي عبيد " ثم كان مع عـــلى بالعـــراق ، وسكن البصرة بعد على . ولما قتل "الحسين" سنة ٦١هـــ أنحرف المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه. ونفاه بشـــفاعة ابن عمر إلى الطائف . ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـــ وقام عبيد الله ابـــن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلدة وحبسه ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطـــائف ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـــ وقام عبد الله بن الزبير فى المدينة يطـــلب الخلافة ذهب إليه المختار وعاهده وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير ثم أستأذنه فى التوجه إلى الكوفة ليدعوا الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ووصى عليه، غير أنه كان أكبر همه منذ دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا " الحسين " وقتلوه فدعا إلى إمامة " محمد بن الحنفية " وقال إنه أستخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سراً فخـــرج بهـــم على والى الكوفة عبد الله بن مطيع فغلب عليها وأستولى على الموصل وعظـــم شـــأنه وتتبع قتله الحسين . فقتل منهم شمر بن ذى الجوش الذى باشر قتل الحسين وخولى بن يزيد الذى سار برأسه إلى الكوفة وعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذى حاربه. وأرسل إبراهيم بن الأشتر فى عسكر كثيف إلى عبيد الله بن زياد الذى جهز الجيش لحرب الحسين، فقتل ابن زياد، وقتل كثير ممن كان لهم ضلع فى تلك الجريمة . وكان يرسل بعض المال إلى صهره ابن عمر وإلى ابن عباس وإلى ابن الحنفية ، فيقبلونه. وشاعت فى الناس أخبار عنه بأنه أدعى النبوة ونزول الوحى عليه وأنه كان=

سـنة ٦٦ هـ / ٦٧٥ م وقاتل قاتلى الحسين وظفر بهم وقتلهم وفيهم شمرين ذى الجوشـن [١] وعمر بن سعد بن أبى وقاص [٢] وحفص بن عمر [٣] والمذكور وغيره وبعـث برؤسـهم إلى محمد بن الحنفية نجل الإمام على ثم حارب عبد الله بن زياد فأسـتولى على الموصل ولم يزل يقاتل ابن زياد حتى قتله واحرق جثته فى سنة ٦٧ هـ بعد أن هزم جيوشه، ولكنه كان غير مخلص النية لأحد لأنه من جملة الطامعين بالسـيادة فى أثناء تلك الفوضى فكان يدعو الناس إلى بيعة محمد بن الحنفية ظاهراً وهـو يـريدها لنفسه باطناً ولم يكن محمد راضاً بتلك الدعوة فكتب إليه يتبرأ منه

= لا يوقف له على مذهب ونقلوا عنه أسجاعاً، قيل كان يزعم أنها من الإلهام. وعمل مصعب بن الزبير وهو أمير البصرة بالنيابة عن أخيه عبد الله على خضد شوكة المختار. فقاتلـه ونشبت وقائع أنتهت بحصر المختار فى الكوفة وقتله ومن كـان معـه سنة ٦٧ هـ / ٦٨٧ م ومدة إمارته ستة عشر شهراً .

انظـر المزيد فى : الإصابة ت ٨٥٤٧ ، الفرق بين الفرق ٣١ – ٣٧ ، الكامل ٤/ ٨٢ – ١٠٨ ، تاريخ الطبرى ٧/١٤٦ ، الحور العين ١٨٢ ، ثمار القلوب ٧٠ ، فـرق الشيعة ٢٣ ، معجم المرزبانى ٤٠٨ ، الأخبار الطوال ٢٨٢ – ٣٠٠، الذريعة ١/ ٣٤٨ – ٣٤٩ .

(١) هو شمر بن ذى الجوشن وأسمه شرحبيل بن قرط الضبابى الكلابى أبو السابغة من كبار قتـلة الحسـين الشهيد رضى الله عنه. كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن موصـوفـاً بالشـجاعة وشهد يوم صفين مع على ثم أقـام فى الكوفة . مات سنة ٦٦ هـ / ٦٨٦ م .

انظـر المزيد فى : الكامل ٤/ ٩٢ ، ميزان الأعتدال ١/ ٤٤٩ ، لسان الميزان ٣/ ١٥٢ ، جمهرة الأنساب ٢٧٠ ، اللباب ٢٠ / ٦٩ .

(٢) ورد له ترجمة فى تهذيب التهذيب .

(٣) ورد له ذكر فى الإصابة .

فحـــول دعوتـــه ابن الزبير فحدث بينهما اختلاف فيما أنفقه المختار من بيت المال فخلع المختار طاعة ابن الزبير وأستقل بالكوفة وكتب إلى علي بن الحسين يرغبه فى الخلافــة على أن يكون هو وأهل الكوفة أول مبايعيه . فلم يجبه علي إلى ما طلب، فخشـــى ابن الزبير استفحال أمر المختار فولى أخاه مصعباً العراقيين وعهد إليه أن يقاتل المختار وأن يستعين بالمهلب بن أبي صفرة وأن يصلح شؤون المصرين (البصرة والكوفة) وذلك فى سنة ٦٧ هـــ .

إمارة مصعب بن الزبير (١) على العراق

تقدم ذكر الأسباب التى دعت عبد الله بن الزبير أن يولى أخاه مصعباً إمارة العـــراقين فى ســـنة ٦٧ هــــ / ٦٨٧ م خصوصاً وأنه كان خائفاً من أن يحمـــــل عـــبد المـــلك بـــن مروان على العراق وليس هناك من هو كفؤ لملاقاته من القواد المحـــنكين . ولما قدم مصعب البصرة دخلها متلثماً فدخل المسجد وصعد منبره فقال الـــناس (أمـــير أمير) فأجتمعوا وجاء الأمير المعزول (الحرث) فسفر مصعب لثامه فعـــرفوه، وأمـــر مصعب الحرث بصعود المنبر فأجلسه تحته بدرجة، ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) انظر المزيد فى : تاريخ الإسلام ٣/ ٢٠٨ ، طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٥، نسب قريش ٢٤٩ — ٢٥٠ ، رغبة الآمل ١/ ٨٥ ثم ٣/ ١٢٤ و ١٧٠ ، ٥/ ٢٣٥ و ٦ : ٣٨ و ٧ : ١٨٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * (إلى قوله) مِنْ الْمُفْسِدِينَ (فأشار بيده نحو الشام) ، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (وأشار نحو الحجاز) .

وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (وأشار نحو الكوفة) ثم قال : يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمرائكم وقد لقبت بالجزار، ويروى أنه قال : يا أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد عليكم أحد إلا لقبتموه وأنا ألقب نفسى بالجزار – فصاروا يلقبونه بالجزار – ومكث مصعب فى البصرة أياماً .

ثم استقدم المهلب بن أبي صفرة ليستعين به كما أمره به أخوه عبد الله وجائه أشراف الكوفة وهو بالبصرة وطلبوا منه أن يسير لتخليص الكوفة من المختار فجند جيشاً عظيماً قاده بنفسه ومعه أشراف البصرين وسار إلى الكوفة لقتال المختار فألتقى به وبعد عدة معارك حدثت بينهما معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام متواليات فأنهزم المختار فحصره مصعب وقتله ونزل رجاله على حكم مصعب وكانوا سبعة آلاف (ويروى ثمانية آلاف) فقتلهم كلهم صبراً وبعث برأس المختار إلى أخيه عبد الله ابن الزبير بمكة وذلك فى سنة ٦٧ هـ وبقتل المختار تم امر ابن الزبير فى العراق وهدأت أحوال البصرة وغيرها . وبقى مصعب تارة يمكث فى البصرة وآونة بالكوفة .

فلما كانت سنة ٧٠ هـ أرسل عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن أسيد إلى البصرة ليثير القبائل التى حولها على ابن الزبير. فوصل خالد مستخفياً فى خاصته ونزل على عمرو بن أصمع الباهلى فبلغ ذلك صاحب شرطة البصرة عباد ابن الحصين فسار إليه يطلبه ولم يكن يومئذ مصعب بالبصرة فأنهزم خالد والتجأ بخالد بن مسمع فاجاره وأرسل إلى قبيلتى بكر بن وائل والأزد فأتته فرسان القبيلتين

وأول رأيــة وصلته رأية بنى يشكر، فبلغ ذلك ابن الحصين فأقبل فى الخيل فتواقفوا بغـــير قتال فلما كان الغد سار خالد بمن معه إلى محل يسمى الجفرة فجائه مدد من عـــبد المـــلك بن مروان عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان . وفى الوقت نفسه أرسل مصـــعب ألف فارس مدداً لابن الحصين فاشتبكوا فى القتال وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين وبعد معارك دامت أربعة وعشرين يوماً اصطلحوا على شرط أن يخرج خالد من العراق فخرج وعلى أثر ذلك جاء مصعب إلى البصرة فاقام بها .

ولما كانت سنة ٧١ هـــ سار مصعب بجماعة من رؤساء أهل العراق ووجوهم واشـــرافهم قاصـــداً مكـــة . فلما وصل دخل على أخيه عبد الله فقال : (يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق واشرافهم ، كل مطاع فى قومه. وهم الذين ســـارعوا إلى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا أهل معصيتك وسارعوا فى قطع عدوك، فأعطهم من هذا المال) ، فقال عبد الله : (جئتنى بعبيد أهل العراق وتأمرنى أن اعطيهـــم مـــن مال اله لا أفعل ، وأيم الله أنى لوددت أن اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهـــــم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام) ، فقال رجل منهم : (علقـــناك وعلقت أهل الشام) ثم انصرفوا وهم ناقمون عليه وقد يئسوا مما عنده لا يـــرجون رفـــده ولا يطمعون فيما عنده، ويروى أنهم بعد أن رجعوا إلى العراق اجتمعوا وأجمعوا على خلع ابن الزبير فكتبوا سراً إلى عبد الملك بن مروان أن أقبل إلينـــــــــا .

رجوع
البصرة إلى بنى أمية

كـــان مروان بن الحكم قد مات فى سنة ٦٥ هـــ / ٦٨٤ م وتولى مكانه ابـــنه الداهيـــة عبد الملك فاشتغل بإخماد الثورات التى كانت فى سورية ثم أرسل فى ســـنة ٧٠ هـــ خالداً بن عبد الملك ليثير القبائل العراقية على ابن الزبير (كجس النـــبض) فلما انتهى من اشغاله فى سورية فى سنة ٧٢ هـــ استعد لقتال عبد الله بن الـــزبير وكـــان قد بلغه ما جرى فى العراق على يد المختار ثم على يد مصعب وما حدث من الفتن والثورات حتى دانت البلاد العراقية لابن الزبير ، وبلغ عبد الله بن الـــزبير استعداد عبد الملك فكتب إلى أخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير إلى الشام لقتال عبد الملك فأستعد مصعب للمسير وجهز الجيوش وجعل على مقدمته إبراهيم ابـــن الأشـــتر وفى الوقت نفسه جهز عبد الملك جيشاً عرمرما وسار به من الشام قاصـــداً العـــراق لمحاربة مصعب بن الزبير واستصحب معه جماعة من القواد الكبار وفيهـــم الحجاج بن يوسف الثقفى ، فالتقى الجيشـــــــــان بمسكن[1] وذلك فى سنة ٧٢ هـــ.

وكـــان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين فبعث إليـــه عبد الملك ان ادن منى . أكلمك . فدنا كل واحد من صاحبه وتنحى الناس، فســـلم عبد الملك عليه وقال له : (يا مصعب قد علمت ما أجرى الله بينى وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من إخائى وصحبتى والله أنا خير لك من عبد الله وانفع

(١) مسكن موضع بالعراق قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني وانصرف إلى وجوه هؤلاء القوم وخذ بيعة هذين المصرين (البصرة والكوفة) والأمر أمرك لا تعصى ولا تخالف وان شئت اتخذتك وزيراً لا تعصى . فقال له مصعب : أما ما ذكرت فى من ثقتى بك ومودتى واخائى فذلك كما ذكرته ولكن بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن إليك وهو أقرب رحما مـــنى إليـــك وأولى بما عندك فقتلته غدراً، ووالله لوقتلته فى ضرب وحرب لمسك عـــاره ولما سلمت من أئمة، وأما ما ذكرته من أنك خير لى من أخى فدع عنك أبا بكـــر وإياك وإياه لا تتعرض له وأتركه ما تركك وأربح عاجل عافيته وارج الله فى الســـلامة من عاقبته ، فقال عبد الملك : لا تخوفنى به فو الله أنى لا أعلم منه مثل ما تعـــلم ، أن فيـــه ثـــلاث لا يسود بها أبداً . عجب قد ملائه، واستغناء برأيه وبخل الـــتزامه .فـــلما يـــئس عبد الملك من مصعب رجع إلى مقره وكتب إلى رؤساء العـــراقيين (البصـــرة والكوفـــة) الذيـــن هم أمراء جيش مصعب يفسدهم عليه ويدعوهم إلى نفسه ويوعدهم خيراً أن أطاعوه ويهددهم شراً أن هم عصوه وجعل لهـــم أموالاً عامة وعهوداً وشروطاً. وكتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر النخعى [١] قـــائد مقدمـــة مصعب يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لأصحابه على أن يخلعوا عـــبد الله بـــن الزبير، فأجابه أكثرهم وشرطوا عليه شروطاً وسألوه الولايات لأن نياهم كانت قد فسدت على ابن الزبير حتى قيل أن أربعين زعيماً منهم سألوه ولاية

---

(١) هو إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعى قائد شجـــاع من أصحاب مصعب ابن الزبير . شهد معه الوقائع وولى له الولايات وقاد جيوشه فى مواطن الشدة . وكان مصـــعب يعتمد عليه ويثق به وأخر ما وجهه فيه حرب عبد الملك بن مروان بمسكن فقـــتل ابن الأشتر ودفن بقرب سامراء . والنخعى نسبة إلى النخع (بفتحتين) قبيلة باليمن من مذحج وأخباره فى كتب التاريخ وافره.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٦ .

أصـــبهان، فقال عبد الملك لمن حضره. ويحكم ما أصبهان هذه ، تعجبا ممن طلبها، كل ذلك جرى ومصعب لا يتصور الغدر فى أصحابه . فجائه أحدهم وهو إبراهيم ابـــن الأشـــتر فأراه كتاب عبد الملك وأكد له أنه كاتب غيره ونصحه أن يستوثق منهم أو يقتلهم لئلاً يكونوا سبباً لفشله فقال مصعب (ما كنت لا فعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم ، قال إبراهيم فاخرى ، قال : وما هى ؟ قال : أحبسهم فى الســـجن حتى يتبين ذلك ، فأبى مصعب ، فقال إبراهيم عليك السلام ورحمة الله وبـــركاته، وكـــان إبراهيم هذا قد قال لمصعب قبل ذلك دعنى أدعوا أهل الكوفة بدعـــوة لا يخـــلعونها أبداً وهى ما شرط الله ، فقال مصعب : لا والله لا أفعل. لا أكـــون قتلـــتهم بـــالأمس وأستنصر بهم اليوم ، وعلى أثر ذلك اشتبكوا فى القتال والـــتحم الجيشـــان فلما حمى وطيس الحرب حول هؤلاء الرؤساء ومالوا إلى عبد المـــلك وأنظمـــوا إليه بجموعهم . ومصعب ينظر غليهم وقد ندم على عدم سماعه النصـــحية مـــن إبراهيم ولات ساعة مندم وبقى فى شرذمة قليلة من المخلصين له ، فـــلما غـــدر أهل العراق بمصعب وانجلت خيانتهم قال لابنه عيسى : (يا بنى أنج بنفســـك فـــلعن الله أهل العراق أهل الشقاق والنفاق) فقال عيسى : (لا خير فى الحيـــاة بعـــدك يا أباه) وظل يقاتل مع أبيه قتالاً شديداً حتى قتل هو وإبراهيم بن الأشـــتر وجماعة من أنصار مصعب وحمل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على مصعب فقال : أيها الناس أيها الأمير ، فقال مصعب غدركم يا أهل العراق ، فرفع عبيد الله ســـيفه ليضـــرب مصعباً فبدره مصعب بالسيف على البيضه فنشب فيها فجعل يقـــلب السيف ولا ينتزع من البيضة فجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعباً بالسيف فقتله ثم حز رأسه عبيد الله وسار به إلى عبد الملك فلما رآه سجد شكراً لله وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٧٢ هـــ ودفن مصعب فى محل المعركة ولم يكن لفشله سبب غير غدر أهل المصرين (البصرة والكوفة) .

إمارة خالد [1]

وعلى أثر ما تقدم بايع أهل العراق لعبد الملك بن مروان فدخل الكوفة باحتفال عظيم فبايعه أهلها . ولما سكن الحال ولى على البصرة خالداً بن عبد الله ابن خالد بن أسيد. وبعد أن دبر عبد الملك شؤون البلاد العراقية جهز الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش كبير (قيل أرسل معه ألف وخمسمائة من أهل الشام عدا أهل العراق) وسيره لقتال عبد الله بن الزبير بمكة فانتصر الحجاج ومات ابن الزبير قتيلاً في سنة ٧٣ هـ وانتهت الخلافة ولم يبق إمام عبد الملك من مناظر . وكانت مدة حكم ابن الزبير على البصرة ثمانية سنوات (٦٤ هـ - ٧٢ هـ) أما أمير البصرة الجديد خالد بن عبد الله فإنه عزل المهلب بن ابي صفرة عن حرب الخوارج وولاه الأهواز وأرسل أخاه عبد العزيز بن عبد الله على حرب الخوارج فهزموه هزيمة منكرة، فلما بلغ خالداً خبر الهزيمة كتب إلى عبد الملك يخبره بها ، فكتب إليه يقول : (أما بعد فقد قدم رسولك بكتابك تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وهزيمة من هزم وقتل من قتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الأهواز ، فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب إلى جنبك يجبي الخوارج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن أبنائها انظر ينهض بالناس

---

[1] انظر المزيد في : الأغاني ١٩/ ٥٣ - ٦٤ ، تهذيب ابن عساكر ٥/ ٦٧ - ٨٠ ، الوفيات ١/ ١٦٩ ، تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٠ ، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٠٥ ، الكامل والتاريخ ٤/ ٢٠٥ ثم ٥/ ١٠١.

حـــتى تستبقلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز وقد بعثت إلى بشر أن يمدك بجيش من أهـــل الكوفة فإذا لقيت عدوك فى تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه إن شاء الله). فخرج خالد بجيش البصرة وجائه المدد من الكوفة (خمسة آلاف مقاتل) فسار حتى وصل الأهواز ففشلت جيوشه . فلما علم بذلك عبد الملك ورآه غـــير ممتثل لأمــــره عزله وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان وذلك فى سنة ٧٢ هـــ وصارت لـــه إمارة المصرين (البصرة والكوفة) . وفى ايام إمارة خالد فى ســـنة ٧٢ هـــــ أجتمع الزنوج بفرات البصرة ونهبوا وسلبوا ودمروا بعض القرى المجـــاورة للبصـــرة فجمع لهم خالد جيشاً فهزمهم وقبض على جماعة منهم فقتلهم. وعلى أثر ذلك أجتمع الزنوج وأمروا عليهم رباح الملقب بشير زنجى وساروا لقتال البصريين فحدثت بين الفريقين عدة معارك انجلت عن تمزيق الزنوج .

ولما ضم عبد الملك البصرة إلى أخيه بشر[١] فى سنة ٧٢ هـــ استخلف على الكوفـــــة عمرو بن حريث وسار إلى البصرة فورده كتاب عبد الملك يقول فيه : (أمـــا بعد فأبعث المهلب فى أهل مصره إلى الأزراقة (الخوارج) ولينتخب من أهل مصره ووجوهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فأنه أعرف بهم وخله ورأيه فى الحـــرب فأنى أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين) . فدعا بشر المهلب وتلى عليه كتاب عبد الملك فلبى الأمر وشرعا بتجهيز الجيوش وجائتهم نجدة من الكوفة فســـار المهلب بالجيوش حتى وصل رامهرمز وبها الخوارج وقبل الاشتباك بالحرب جـــــــاءهم نعى بشر بن مروان من البصرة وخبر إسناد إمارة البصرة إلى خالد

---

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى أمير كان سمحاً جواداً ولى إمـــرة العـــراقيين (البصرة والكوفة) لأخيه عبد الملك سنة ٧٤ وهو أول أمير مات بالبصرة سنة ٧٥ هـــ .

انظر المزيد فى : خزانة البغدادى ٤/ ١١٧ ، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٢٤٨ .

ابـن عـبد الله بن أسيد فرفض القتال كثير من أهل البصرة والكوفة فكتب إليهم خـالد يأمرهم بالعودة ويحذرهم المخالفة فلم يجد ذلك فيهم نفعـاً وذلك فى سنة ٧٣ هـ . وفى أيام بشر كثرت الخوارج فى أطراف البصرة وأغاروا على القرى وخربوا عدة منها وقتلوا ونهبوا فجهز لهم بشر فمزق جموعهم.

إمارة الحجاج

دخـلت سـنة ٧٥ هـ الموافقة لسنة ٦٩٥ م فولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى العراقيين (البصرة والكوفة) [١] فوصل الحجاج الكوفة فى أثـنى عشر راكباً على النجائب وأرسل إلى البصرة الحكم بن ايوب الثقفى أميراً مـن قـبله ، وبعد أيام قليلة سار الحجاج إلى البصرة فأستقبله الناس فلما وصلها دخل مسجدها وخطب خطبة تشابه خطبته بالكوفة وبعد أن هددهم وتوعدهم قال أن أمـير المؤمـنين أمرنى بأعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم (يعنى الخـوارج) مع المهلب بن أبى صفرة، وأنى أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذه عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه) ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون، فجائـه رجل يشكرى فقال أيها الأمير أن بى فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى وهـذا عطائى مردود فى بيت المال . فلم يقبل الحجاج عذره وقتله ، ففزع لذلك البصـريون خصوصاً وأنهم كانوا قد حقدوا عليه وأضمروا له الشر منذ أغلظ لهم

---

(١) ثم ضم إليه فى سنة ٧٨ هـ ولاية خراسان وسجستان .

القــول فى خطبته وتهدده ، فخرجوا حتى تداركوا على العارض بقنطرة رامهر مز وخرج الحجاج حتى نزل رستقاباذ ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً فقام الحجاج فى الناس فقال : (أن الزيادة التى زادكم ابن الزبير فى أعطيــاتكم لســت أجيزها) فقام إليه عبد الله بن الجارود العيدى وقال : (أنها ليســت بــزيادة ابن الزبير ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك أثبتها لنا) فكذبه الحجــاج وتوعــده وذلك فى أوائل شعبان سنة ٧٥ هــ. ثم وجه الحجاج المهلب لقــتال الخــوارج ووجه معه البصرين والكوفيين وظل المهلب يطارد الخوارج مدة حــتى قهــرهم بعــد أن جرت له معهم حروب عديدة لا محل لذكرها هنا وظل، البصريون يضمرون الشر للحجاج حتى أجتمعوا سراً فبايعوا عبد الله بن الجارود[١] بالإمــارة فخرج ابن الجارود فى سنة ٧٧ هــ وتبعه وجوه البصرة فتجهز الحجاج لقتالهم وبعد عدة معارك خاف أصحاب ابن الجارود من أن يمد عبد الملك الحجاج بــالجيوش فأنظمت إليه جماعة بعد أخرى حتى أنحاز أكثرهم إلى الحجاج وظل ابن الجــارود بشرذمة قليلة فأنتصر الحجاج وقتل زعيم الثورة ابن الجارود وجماعة من أصــحابه ودخل البصرة ظافراً . ثم حدثت الحروب المشهورة بين الحجاج وشيب بالكوفة كان النصر فى آخرها للحجاج .

---

(١) ورد ذكره فى تاريخ الطبرى .

إستيلاء ابن الأشعث على البصرة

ولما بعث الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث إلى سجستان لقتال الثائرين هناك جهز عشرين ألفاً من البصرة ومثلهم من الكوفة وسيرهم معه إلى سجستان. فلما صالح ابن الأشعث الثائرين عزله الحجاج فأتفق ابن الأشعث مع رؤساء جيشه على الخروج على الحجاج فعادوا من سجستان فلما كانوا فى فارس خلعوا عبد الملك بن مروان وبايعوا ابن الأشعث فسار بهم إلى العراق قاصداً قتال الحجاج ونفيه من البلاد وبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك يخبره وسأله أن يوجه إليه الجنود من الشام . فبادر عبد الملك بإرسال الجنود والحجاج مقيم بالبصرة . وبعد قليل وصل ابن الأشعث العراق فالتقى جيشه بجيش الحجاج فى تستر فأنكسرت مقدمة الحجاج وجائته الهزيمة فرجع ونزل الزاوية وجائت جيوش ابن الأشعث حتى نزلت البصرة فبايعه أهلها وكان دخوله فيها فى آخر ذى الحجة سنة ٨١ هـ .

وعلى أثر ذلك جمع الحجاج جيشه وجائته الإمدادات من سورية فتقابل الجيشان بالزاوية فأنكسرت جيوش ابن الأشعث فأضطر إلى الخروج من البصرة فخرج منها وسار إلى الكوفة. أما الحجاج فأنه ولى على البصرة أميرها السابق

الحكم بن أيوب الثقفى [١] وسار هو بجيوشه فى أثر ابن الأشعث وبعد حروب أستمرت مدة طويلة أنتصر الحجاج أنتصاراً نهائياً فى جمادى الآخرة سنة ٨٣ هـ وفر ابن الأشعث إلى سجستان وهناك مات منتحراً.

وفى أيامه فى سنة ٨٠ هـ حدث بالبصرة طاعون فمات به خلق كثير وفر منه عدد كبير من البصريين وتفرقوا فى البلاد.

ولما مات عبد الملك بن مروان فى سنة ٨٦ هـ الموافقة لسنة ٧٠٥ م وتولى ابنه الوليد أقر الحجاج على العراق وخراسان والشرق كله وفى سنة ٨٧ هـ ولى الحجاج البصرة الجراح بن عبد الله الحكمى [٢] ثم مات الحجاج فى سنة ٩٥ هـ الموافقة لسنة ٧١٣ م بمدينة واسط التى بناها فى سنة ٨١ هـ بعد أن حكم العراق زهاء وعشرين سنة .

---

(١) هو الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفى أمير هو ابن عم الحجاج . ولاه الحجاج على البصرة لما كان فى العراق ثم عزله ثم أعاده وقتله صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجاج سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م مع جماعة من آل الحجاج فى العذاب على إخراج ما اختزنوه من الأموال ، بأمر سليمان بن عبد الملك فى خلافته .

(٢) هو الجراح بن عبد الله الحكمى أبو عقبة أمير خراسان وأحد الأشراف الشجعان دمشق الأصل والمولد ، ولى البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز وعزله لشدة بلغته عنه ، فأقام إلى أن ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان ، فانصرف إليها بجيش كثيف، وغزا الخزر وغيرهم فأفتتح حصن بلنجر وحصوناً أخرى ومات يزيد فأقره هشام بن عبد الملك زمناً ثم عزله سنة ١٠٨ هـ ، وأعاده سنة ١١١ هـ فانصرف إلى الغزو والفتح فأستشهد غازياً بمرج أردبيل ، قتله الخزر سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م ورثاه كثير من الشعراء .

انظر المزيد فى : الكامل ٥/ ٥٨ .

إستيلاء
ابن المهلب على البصرة

كــان الحجاج لما حضرته الوفاة قد أستخلف على حرب المصرين يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم وعلى الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج فأقرهم الوليد بن عبد الملك ، ثم ولى إمارة العراق فى السنة نفسها يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وذلك فى سنة ٩٥ هـ .

فــلما مــات الوليد فى سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م وبويع لأخيه سليمان بن عــبد الملك ولى العراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة [١] فأقام يزيد بالبصرة فلما

---

(١) هــو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى أبو خالد أمير من القادة الشجعان الأجواد، ولى خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ ، فمكث نحواً من ست سنين وعزله عبد الملك ابن مروان برأى الحجاج (أمير العراقين فى ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه . فلما تم عزله حبسه ، فهرب يزيد على الشام . ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولاه العراق ثم خراسان فعاد إليها ، وأفتتح جرجان وطبرستان ثم نقل إلى إمارة البصــرة، فأقــام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله ، وطلبه فجئ به إلى الشام، فحبسه بحلب . ولما توفى عمر وثب غلمان يزيد ، فأخرجوه من السجن، وسار إلى البصــرة فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك أنتهت بمقتل يزيد سنة ١٥٢ هـ / ٧٢٠ م فى مكان يسمى " العقر" بين واسط وبغداد وأخباره كثيرة.

انظــر المــزيد فى : وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤ ، خزانة البغدادى ١/ ١٠٥ ، التنبية والإشراف ٢٧٧، رغبة الآمل ٤/ ١٨٩ ، معجم ما أستعجم ٩٥٠ ، تاريخ اليعقوبى=

كـــانت ســـنة ٩٧ هـــ نقله إلى ولاية خراسان وولى على البصرة بدله عبد الله بن هلال الكلابي ثم عزله فى سنة ٩٨ هـــ وجعل مكانه سفيان بن عبد الله الكندى.

ولـمـا مـات سليمان بن عبد الملك فى سنة ٩٩ هـــ الموافقة لسنة ٧١٧ م وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولى على البصرة عدى بن أرطأة الفزارى[1] وولى قضـائها إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال [2] القاضى. المشهور وفى هذه الســنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وأمر بالقبض عليه وإحضاره وكان يزيد يومئذ فى خراسان فأقبل منها يريد العراق فلما دخل البصرة قبض عليه أميرها عدى بن أرطأة فحبسه ثم أوثقه وبعثه مخفوراً إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق ، فلما حضر سأله عمر عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال يزيد :

= ٣/ ٥٢ ، تـاريخ ابن خلدون ٣/ ٦٤ - ٦٩ و ٧٦ ، الكامل ٥/ ٢٩ ، تاريخ الطبرى ٨/ ١٥١ ، هبة الأيام للبديعى ٢٥٣ - ٢٦٧ .

(١) هو عدى بن أرطأة الفزارى أبو واثلة أمير من أهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـــ فأستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد ابن المهلب بواسط، فى فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـــ/ ٧٢٠م .

انظـر المـزيد فى : الكامل ٢/ ١٤٩ ، رغبة الآمل ٢/ ٢٦ ثم ٧/ ١٥٩ ، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٥٣ .

(٢) هـو القاضـى إياس بن معاوية بن قرة المزنى أبو واثلة قاضى البصرة وأحد أعاجيب الدهـر فى الفطـنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه وزكنه . قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة ، كان صادق الحدس نقاباً ، عجيب الفراسة. ملهماً، وجيهـاً عند الخلفـــاء. توفى بواسط سنة ١٢٢ هـــ/ ٧٤٠ م وكان مولده سنة ٤٦ هـــ/ ٦٦٦م .

انظر المزيد فى : البيان والتبيين ١/ ٥٦ ، وفيات الأعيان ١/ ٨١ ، ثمار القلوب ٧٢، ميزان الأعتدال ١/ ١٣١ ، حلية الأولياء ٣/ ١٢٣ ، الشريشى ١/ ١١٣ .

(كـــنت مـــن سليمان بالمكان الذى قد رأيت وأنما كتبت إلى سليمان لا سمع الناس وقـــد عـــلمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى به) فقال عمر : (لا أجد فى أمرك إلا حبســـك فاتق الله واد ما قبلك فأنها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها) فلما لم يجد عمـــر عـــند يزيد عذراً مقبولاً أمر بحبسه بحصن حلب وأستمر يزيد بن المهلب فى ســـجنه، فلما مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذى مات فيه فى سنة ١٠١ هـــ / ٧٢٠ م حـــس أن المهلب بقرب موت عمر فأعد للهرب عدته خوفاً من يزيد بن عبد الملك لعداوة بينهما فأنهزم من السجن قاصداً البصـــــرة وكتب إلى عمر : (إلى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت أن يلى الخلافة يزيد ابـــن عبد الملك فيقتلنى شر قتله) فوصل كتابه وبعمر رمق فقال : (اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضه فقد هاضنى) .

ومات عمر بعد أيام قليلة وتولى مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فخلع طاعة بنى مروان ولحق بالبصرة ودعا لنفسه فأجتمع حولـــه خـــلق وبـــلغ جيشه مائة وعشرين ألف مقاتل فحمل على البصرة بعد أن استولى على أطرافها وعلى فارس والأهواز ، فحسن البصرة أميرها عدى بن أرطأة ودافع عنها دفاعاً شديداً وبعد حروب استولى ابن المهلب على البصرة وقبض على عدى وجماعة من أصحابه فحبسهم واستعمل الشدة فهرب جماعة من أعيان البصرة إلى الشـــام وجماعـــة إلى الكوفة وذلك فى سنة ١٠١ هـــ / ٧٢٠م وقوى أمر ابن المهلب فخافه يزيد بن عبد الملك فجهز جيشاً كبيراً من الشام بلغ عدده ثمانين ألف

مقاتل وسيرة تحت قيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك [١] وأرسل معه ابن أخيه العباس ابن الوليد[٢] وذلك فى سنة ١٠٢ هـ .

أما ابن المهلب فانه لما بلغه قدوم جيش ابن عبد الملك أستعد لملاقاته وجمع أهـل البصرة فخطب فيهم ودعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحثهم على جهاد بنى أميه وزعم أن قتال أهل الشام أعظم ثواباً من قتال الترك والديلم ، فانضم إليه من البصريين عـدد كبير، فلما تهيأ للمسير أصطف له البصريون صفين وقد نصبوا

---

(١) هـو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير قائد من أبطال عصره من بنى أمية فى دمشـق، يلقب بالجرادة الصفراء له فتوحات مشهورة، سار فى مائة وعشرين ألفاً لغـزو القسطنطينية فى دولة أخيه " سليمان" وبنى " مسجد مسلمة " بالقسطنطينية سـنة ٩٦ هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقيين ثم أرمينية وغـزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ ومات بالشام سنة ١٢٠ هـ/ ٧٣٨ م وإليه نسب " بنى مسلمة " وكانت مـنازلهم فى بلاد الأشمونين (بمصر) قال الذهبى : كان أولى بالخلافة من سائر أخوته .

انظر المزيـد فى : تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤ ، نسب قريش ٣١٥ ، دول الإسلام ١/ ٦٢ ، نهايـة الأرب للقلقشندى ٣٣٩ ، تاريخ مختصر الدول ١٩٦ - ١٩٩ ، رغبة الآمل ٥/ ١٦ و ٦٤ و١١٨ ، المرزبانى ٣٧٢ .

(٢) هو العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى أمير ، من كبار القادة كان يقال له " فارس بنى مروان " قاد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك إلى أن قتل يزيد بن المهلب وافتتح مدناً وحصوناً كثيرة ، من بلاد الروم ، واستعمله أبوه على حمص وولاه المغازى غير مرة. قال المرزبانى : كان يتهم فى دينه واورد له شعراً. وكان له ثلاثون ابنا ذكـوراً أسماهم ابن حزم وسجنه مروان بن محمد فى " حران" فمات سجينا سنة ١٣١ هـ / ٧٤٩ م .

انظر المزيد فى : تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٧٠ ، جمهرة أنساب العرب ٨١ ، النجوم الزاهرة ١/ ٣٠٠ ، المحبر ٣٠٥ ، المرزبانى ٢٦٤ .

الرايات والرماح وهم ينتظرون خروجه ويقولون : يدعونا إلى سنة العمرين ، فأتفق أن مــر الحسن البصرى سيد فقهاء أهل البصرة فرأى الرايات والرماح وصفوف البصــريين فقــال : (كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء القوم رضاهم فلما غضــب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً ثم قال أنى قد خالفهم فخالفوهم فقــال هؤلاء القوم نعم وقال أنى أدعوكم إلى سنة العمرين ، وأن من سنة العمرين أن يوضــع قيد فى رجله ثم يرد إلى محبس عمر الذى فيه حبسه) ويروى أن الحسن كــان ممن حضر خطبة ابن المهلب فلما سمعها قال : (والله لقد رأيناك والياً ومواليا فما ينبغى لك ذلك) فقام الناس فاسكتوه خوفاً من أن يسمعه ابن المهلب .

ثم ولى ابن المهلب أخاه مروان على البصرة (وقيل استخلف على البصرة ابــنه معاوية) وخرج بجيوشه حتى أتى واسطاً فأقام بها أياماً ثم سار منها حتى نزل العقر وأقبل مسلمة بن عبد الملك فنزل بجيوشه على ابن المهلب فأشتبكوا فى القتال فكــانت بين الفريقين حروب هائلة دامت ثمانية أيام فلما حمى وطيس الحرب تفرق أصــحاب ابن المهلب وثبت معه البصريون فاستمات ابن المهلب وهجم بأصحابه الصــادقين هجمــات هائلة لم يسمع بمثلها حتى قتل فى يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٠٢ هــ وقتل معه أخوه حبيب بن المهلب [١] وجماعة من أصحابه المخلصين وفر مــن نجا ، وقتل فى هذه الحادثة ثمانية عشر ألف رجل من البصريين (ويروى ثمانية وعشرون ألفاً) فلما بلغ أهل البصرة خبر قتلاهم ارتجت المدينة وكثرت فيها المآتم حتى قيل أن المآتم دامت نحو سنة .

ولمــا انــتهت فتــنة ابــن المهلب أسند يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراســان إلى أخيــه مسلمة ، فأستخلف هذا الأمير على البصرة عبد الرحمن بن

---

(١) ولما بلغ آل المهلب بالبصرة خبر هذه الفاجعة قتلوا من كان فى سجنهم وفيهم عدى بن أرطاة وحملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن وساروا على كرمان وهناك تمزقوا .

سليمان الكلبي وذلك في سنة ١٠٢ هـ ثم عزل يزيد أخاه مسلمة في سنة ١٠٣ هـ وأرسل بدله عمر بن هبيرة الفزاري [١] فأستخلف ابن هبيرة على البصرة موسى بن عبد الله. فلما مات يزيد وتولى أخوه هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م أقر ابن هبيرة على العراق ثم عزله في سنة ١٠٦ هـ وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فأرسل خالد عقبة بن عبد الأعلى أميراً على البصرة حتى إذا كانت سنة ١٠٩ هـ عزله ووجه إمارة البصرة إلى اابان بن صبارة اليثربي ثم عزله في سنة ١١٠ هـ فولى مكانه بلال بن أبي بكرة " ويروى ابن أبي برده" [٢]

---

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الفزارى أبو المثنى أمير من الدهاة الشجعان ، كان رجل أهل الشام وهو بدوى أمي ، صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم فأظهر بسالة وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة المناوئ للحجاج الثقفي، وأخذ رأسه فسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فسر به عبد الملك وأقطعه إقطاعاً ببرزة (من قرى دمشق) . ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولاة الجزيرة، فتوجه إليها وغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً. وأستمر على الجزيرة إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراق وخراسان، فكانت إقامته في الكوفة ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ وولى خالد بن عبد الله القسرى ، فحبسه خالد في سجن واسط . ولم يطل حبس ابن هبيرة فأن غلماناً له من الأورام حفروا نفقاً إلى السجن وأحضروا له خيلاً ، فهرب ومعه ابنه يزيد وذهب إلى الشام فأناخ بباب مسلمة بن عبد الملك، فكان واسطته عند هشام فرضى عنه هشام وآمنه، ومات سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨م .

انظر المزيد في : الكامل ٥/ ٣٧ - ٣٨ و ٤٦ ، رغبة الآمل ٢/٧٧ و ٢٢٩ ، ثم ٣/ ١٧٣ ثم ٦/ ٢٢٩ - ٢٣١ ، مروج الذهب ٥/ ٤٥٨، الجمحى ٢٨٧ - ٢٩٢

(٢) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعرى أمير البصرة وقاضيها ولاه خالد القسرى سنة ١٠٩ هـ فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ =

وضـــم إليه قضاء البصرة وفى أول إمارته فى سنة ١١٠ هــ مات بالبصرة الحسن البصرى [١] ومحمد بن سيرين [٢] .

= فعـــزله وحبسه فمات سجيناً سنة ١٢٦ هــ / ٧٤٤ م كان ثقة فى الحديث ، ولم تحمد سيرته فى القضاء .

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ١/ ٥٠٠ ، خزانة البغدادى ١/ ٤٥٢ .

(١) هــو الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل جابر بن عــبد الله وقيل أبو اليسر ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر . قال أبو بردة : أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن رياح الهذلى : سئل أنس بـــن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له فى ذلك فقال إنه قد سمع وسمعـــنا ، فحفظ ونسينا. وقال سليمان التيمى : الحسن شيخ أهل البصرة . مات فى رجب سنة عشر ومائة .

انظـــر المزيد فى : النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٧ ، وفيات الأعيان ١/ ١٢٨ ، ميزان الأعتدال ١/ ٥٢٧ ، العبر ١/ ١٣٦ ، طبقات المفسرين للداودى ١/ ١٤٧ ، طبقات القـــراء لابـــن الجزرى ١/ ٢٣٥ ، طبقات الفقهاء ٨٧ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٧١ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ ، حلية الأولياء ٢/ ١٣١ ، خلاصة تذهيب الكمال ٦٦ ، شذرات الذهب ١/ ١٣٦ .

(٢) هو محمد بن سيرين الأنصارى أبو بكر بن ابي عمرة البصرى مولى أنس بن مالك . قال العجلى : من أروى الناس عن شريح وعبيدة . وقال ابن سعد : ثقة مأمون ، عال رفيع فقيه، إمام كثير العالم والورع . وقال مورق العجلى : ما رأيت أفقه فى روعه ولا أورع فى فقهه منه . وقال عثمان التيمى : لم يكن بالبصرة أحد أعلم منه بالقضاء. وقال ابن حبان : ثقة فاضل حافظ متقن ، يعبر الرؤيا، رأى ثلاثين من الصحابة.

انظر المزيد فى : تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٢١٤، حـــلية الأوليـــاء ٢/ ٢٦٣ ، خلاصـــة تذهيب الكمال ٢٩٠ ، شذرات الذهب ١/ ١٢٨ ، طبقات الفقهاء ٨٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ١٥١، =

والشـــاعر المشـــهور الفرزدق [١]. وفى أيـــامه فى سنة ١١٦ هـــ حدث بالبصرة طـــاعون دام أكـــثر من شهر فمات به عدد كبير من البصريين، وفى أيامه أحصيت نفـــوس أهـــل البصرة بعد الطاعون فكانت ثلاثمائة ألف نسمة.ولما كانت ســـنة ١٢٠ هـ عزل هشام خالداً عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر والثقفى فأرسل يوسف كثير بن عبد الله السلمى أميراً علىالبصرة. فمات هشام فى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م وتـــولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل فى سنة ١٢٦ هـــ وجلس مكانـــه يـــزيد بن الوليد بن عبد الملك فولى إمارة العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى السنة نفسها فأستخلف على البصرة المسور بن عمرو بن عباد.

وفى أيامـــه: ظهـــرت الدعوة العباسية ودخل البصرة سراً دعاة بنى العباس فنشروا دعوهم فأستجاب لهم كثير من البصريين خفية لأنهم كانوا قد سئموا حكم الأمويين فلما مات يزيد بعد ستة أشهر بويع لإبراهيم بن الوليد فخلع نفسه وبايع

= العبر ١/ ١٣٥ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٨، نكت الهميان ١٩٧، الوافى بالوفيات ٣/ ١٤٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٣ .

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى أبو فراس الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء من أهل البصرة ، عظيم الأثر فى اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثـــلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس يشبه بزهير بن أبى سلمى وكلاهمـــا من شعراء الطبقة الأولى زهير فى الجاهليين والفرزدق فى الإسلاميين . وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفاً فى قومـــه ، عزيـــز الجـــانب ، يحمى من يستجير بقبر أبيه — وكـــان أبوه من الأجواد الأشراف — وكذلك جده . مات سنة ١١٠ هـــ / ٧٢٨ م .

انظـــر المـــزيد فى : رغبة الآمل ١/ ١١٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٦ ، طبقات ابن سلام ٧٥ ، معجم الشعراء ٤٨٦ ، الشعر والشعراء ٤٤٢ ، أمالى المرتضى ١/ ٤٣ — ٤٩ ، مفتاح السعادة ١/ ١٩٥ ، جمهرة أشعار العراب ١٦٣ .

مـــروان بـــن محمـــد فى سنة ١٢٧ هـــ / ٧٤٥ م وفى كل هذه المدة كانت الفتن مـــتوالية فى العراق بل أن المملكة الإسلامية كانت بعد هشام بن عبد الملك كشعلة نـــــار .

انقراض الدولة الأموية من البصرة

كـــان مـــروان بن محمد قد أقر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على إمارة العراق فخرج عليه الضحاك بن قيس [1] فحدثت بينه وبين عبد الله بن عبد العزيز عـــدة حروب انتصر فى أكثرها الضحاك ثم حمل على البصرة وحاصرها ثمانية أيام حتى أضطر أميرها المسور إلى تسليمها فسلمها إلى الضحاك بعد أن أعطاه الأمان . وذلـــك فى سنة ١٢٨ هـــ / ٧٤٥م فبلغ ذلك مروان فعزل عبد الله بن عمر عن

(١) الضـــحاك بـــن قيس الشيبانى زعيم حروى من الشجعان الدهاة . خرج مع سعيد بن بهدل سنة ١٢٦ هـــ فى مائتين من حرورية الجزيرة . ومات سعيد (سنة ١٢٧ هـــ) فخـــلفه الضحاك وبايع له الشراة ، فقصد أرض الموصل ثم شهر زور وأجتمعت عليه الصـــفرية حتى صار فى أربعة آلاف . فسار إلى العراق واستولى على الكوفة وحاصر واســـطاً فصـــالحه عاملها وكاتبه أهل الموصل فأحتلها . وناهز عدد جيشه مائة ألف مقصده مروان (الخليفة الأموى) فالتقيا بنواحى كفر توثا (من أعمال ماردين) فقتل الضحاك. قال الجاحظ فى وصفه من علماء الخوارج ملك العراق وسار فى خمسين ألفاً وبايعة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصلبا خلفه . انظر المزيد فى : الكامل ٥/ ١٣٠ ، تاريخ الطبرى ٩/ ٧٦ ، البيان التبيين ٣٤٣/١.

العراق وأرسل بدله يزيد بن هبيرة [1] وسير معه جيشاً كبيراً لقتال الضحاك وغيره من الخوارج وبعد أن قمع يزيد من بالكوفة من الخوارج سار إلى البصرة وحارب من حولها من الخوارج إحدى عشر يوماً فأسترد البصرة وأنهزم الضحاك فدخل يزيد البصرة ظافراً وضبط نواحيها وولى عليها شبيب بن شيبة [2] فساد الأمن فيها وذلك فى سنة ١٢٩ هـ وعلى أثر ذلك ثار فى العراق سليمان بن هشام بن

---

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد من بنى فزارة أمير قائد من ولاة الدولة الأموية ، أصله من الشام . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ثم جمعت له ولاية العارقين (البصرة والكوفة) سنة ١٢٨ هـ فى أيام مروان بن محمد . واستفحل أمر الدعوة العباسية فى زمن إمارته . فقاتل أشياعها مدة ، وتغلبت جيوش خراسان على جيوشه فرحل إلى واسط وتحصن بها فوجه السفاح أخاه المنصور لحربه فمكث المنصور زمناً بواسط يقاتله ، حتى أعياه أمره ، فكتب إليه بالأمان والصلح وأمضى السفاح الكتاب . وكان بنو أمية قد أنقضى أمرهم ، فرضى ابن هبيرة وأطاع . وأقام بواسط وعمل أبو مسلم الخراسانى على الإيقاع به ، فنقض السفاح عهده له ، وبعث إليه من قتله بقصر " واسط " فى خبر طويل فاجع سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠م . وكان خطيباً شجاعاً، ضخم الهامة / طويلاً جسيماً وكان مولده سنة ٨٧ هـ / ٧٠٦ م .

انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٨ ، خزانة البغدادى ٤/ ١٦٧ - ١٦٩ ، فتوح البلدان ٢٩٥ ، تاريخ الإسلام ٥/ ٣١٥ ، مروج الذهب ٦/ ٦٥ - ٦٦ ، مرآة الجنان ١/ ٢٧٧ .

(٢) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى الأهتمى أبو معمر أديب الملوك وجليس الفقراء وأخو المساكين من أهل البصرة . كان يقال له " الخطيب" لفصاحته وكان شريفاً من الدهاة، ينادم خلفاء بنى أمية ويفزع إليه أهل بلده فى حوائجهم. مات سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م .

انظر المزيد فى : ميزان الأعتدال ١/ ٤٤١ ، ثمار القلوب ٢٢ ، البيان والتبيين ١/ ٦٢ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧ .

عبد الملك وطلب الخلافة لنفسه وانضم إليه عشرة آلاف من البصريين وبايعوه بالخلافة ثم سار بجموع لحرب مروان بالشام فلاقاه مروان فأنتصر عليه وتمزقت جموع سليمان .

وفى أيام ابن هبيرة حدث بالبصرة فى سنة ۲۳۰ هـ طاعون فمات به خلق كثير وعلى ذلك تولى إمارة البصرة مسلم بن قتيبة الباهلى فى سنة ۱۳۱ هـ وفى أيامه قوى أمر بنى العباس وظهرت دعوتهم فكانت الضربة القاضية على بنى أمية .

ولما انتشرت عساكر العباسيين حصن البصرة مسلم بن قتيبة واستعد للدفاع فأرسل عبد الله السفاح مؤسس الدولة العباسية جيشاً كبيراً لأخذ البصرة بقيادة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ووجه إليه إمارة البصرة . فلما وصل سفيان طلب تسليم المدينة فأبى أميرها مسلم معتمداً على ما عنده من العدد والعدد إذ كان فى البصرة حينذاك من بنى أمية وكثير من ولاة الأمويين الذين فروا من خراسان بعد تغلب قواد بنى العباس عليها ، وكان فيها أربعة آلاف مقاتل جائت نجدة إليه عدا جيوش المدينة .

فلما رأى سفيان امتناع مسلم باشر الحرب فأشتدت المعارك سبعة أيام متوالية فانجلت عن أنتصار جيوش بنى العباس فدخل سفيان البصرة منصوراً وعلى يده انقرضت دولة بنى أمية من البصرة وذلك فى سنة ۱۳۲ هـ وقد قتل فى هذه الحادثة عدد كثير من البصريين ونكبت هذه المدينة نكبة عظيمة يوم سقوطها إذا قام الرعاع فنهبوا وسلبوا وقتلوا . فنهبت أكثر الأسواق وخربت دور كثيرة قيل بلغ عددها سبعة آلاف داراً وأحصى من قتل فى هذه الفتنة من أهل البصرة فكانوا إحدى عشر ألفاً .

ولما دخل القائد العباسى سفيان أعلن الأمان وأمر مناديه فأجتمع الناس فى المسجد فخطب فيهم لبنى العباس فبايع الناس للسفاح ثم شرع فى تنظيم شؤون إمارته ثم قبض على جماعة من بنى أمية الذين كانوا فى البصرة فقتلهم وصلب جثتهم وكتب بالفتح وبالخبر على الخليفة السفاح بالكوفة .

تتمة لما مر

كان الأمويون كثيرى الأهتمام بشؤون البصرة لأهمية موقعها الجغرافى والتجارى والسياسى ولكونها وسطا بين سورية والحجاز وفارس وبين النهرين ولذلك أتخذوها فى بعض الأحيان مقراً لإمارة العراق .

ولما رأى الناس أعتنائهم الشديد بهذه المدينة تهافتوا إليها من كل الجهات حتى أصبحت فى عهدهم من أعظم مدن الشرق وصارت مهداً للعلوم والفنون والآداب ومركزاً للتجارة والصناعة ومجتمعاً لكبار الرجال من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء وغيرهم .

ومع وجود الفتن والأضطرابات أحياناً حول المدينة وأخرى فى داخلها كانت عمارتها فى أيامهم تزداد عاماً فعاماً حتى بلغت مساحتها فى أيام إمارة خالد ابن عبد الله القسرى ٣٦ ميلاً مربعاً عدى المغارس التى بها البساتين والأنهار ، وبالغ بعضهم فقال: بلغت أنهارها التى تجرى فيها الزوراق فى أيام إمارة بلال بن أبى بردة مائة وعشرين ألفاً .

وكان الولاة فى عهدهم يتصرفون فى الإمارة ويجبون الأموال وينفقون منها على الجند وفى ما تقتضيه الحالة وعلى العمارة من إصلاح الجسور وحفر الترع

وغير ذلك ثم يرسلون ما بقى إلى بيت المال فى مركز الإمارة العامة (الكوفة) . أو على بيت المال فى العاصمة (دمشق) .

وكانت البصرة إمارة العراق فى عهدهم تسمى إمارة العراقين لا شتمالها على البصرة والكوفة . وكان كل أمير يتصرف فى إمارته تصرف الملوك المستقلين. ومع وجود الأضطرابات فى العراق فقد بلغ معدل خراج العراق فى غيامهم (١٣,٠٠٠,٠٠٠) درهم سنوياً .

البصرة فى عهد العباسيين

قامت دولة بنى العباس فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ وأتخذ السفاح مدينة الكوفة مقراً له فبعث فى السنة نفسها عساكره لأخذ البصرة من الأمويين فانسلخت منهم على يد القائد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كما تقدم ذكره وكان السفاح قد أسند إمارة البصرة على سفيان المذكور وهو أول عامل لبنى العباس على البصرة ثم عزله [١] فى سنة ١٣٣ هـ وولى عليها عمه سليمان ابن على[٢] وضم إليه السواد ودجلة والبحرين وعمان فزهت البصرة فى أيامه وعمر ما خرب منها فى الفتن الماضيات .

---

(١) ويروى أن السفاح عزل سفيان هذا فى أواخر سنة ١٣٢ هـ وولى البصرة سفيان بن عيينة المهلبى .

(٢) هو سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير عباسى من الأجواد الممدوحين ولاه ابن أخيه (السفاح) إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ هـ فلم يزل فى البصرة إلى أن توفى سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م ، وكان مولده سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م . =

فـلما مـات السـفاح بالهاشمية فى سنة ١٣٦ هـ وتولى أخوه أبو جعفر المنصور أقر عمه سليمان بن على على البصرة ولكنه عزله فى سنة ١٣٩ هـ وولى عليها سفيان بن معاوية (مرة ثانية) وأمره بقتل عمه عبد الله بن على الذى كان قد ألتجأ بأخيه سليمان بن على يوم إمارته على البصرة على أثر خروجه على الخليفة، وأمره بقتل حاشيته وكل من تحزب له من البصريين ففتك سفيان بجماعة كبيرة من البصريين لتحزبهم على عبد الله .

وسـفيان هذا هو الذى قتل عبد الله بن المقفع [1] بالبصرة فى سنة ١٤٢ هـ بسـبب مـا أهم به من الزندقة والكيد للإسلام بترجمته كتب الزنادقة. وفى أيامه: حفر فى سنة ١٤٠ هـ أبو الخصيب مرزوق مولى أبي جعفر المنصور نهراً فى جنوبى البصـرة فسـمي باسمـه (نهر أبي الخصيب وهو المعروف بهذا الاسم حتى اليوم) وغرس عليه نخيلاً وأشجاراً وبنى على صدره قصراً فخماً .

= انظر المزيد فى : تاريخ الطبرى ٩/ ١٧٩ ، دول الإسلام للذهبى ١/ ٧٣ ، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٢٨١، فوات الوفيات ١/ ١٧٧.

(١) هو عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب وأول من عنى فى الإسلام بترجمة كتب المنطق . أصله من الفرس ، ولد فى العراق سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م مجوسياً (مزركياً) وأسلم على يد عيسى بن على (عم السفاح) وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى وترجم له " كـتب أرسـطوطاليس" الثلاثة فى المنطق المعروف بايساغوجى وترجم عن الفارسية كـتاب " كليلة ودمنة" وهو أشهر كتبه وأنشأ رسائل غاية فى الإبداع، منها " الأدب الصـغير" و "الأدب الكبير " و " اليتيمة " وأتهم بالزندقة ، فقتله فى البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م . قال الخليل بن أحمد : ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله .

انظـر المزيد فى : أمراء البيان ٩٩ – ١٥٨ ، أخبار الحكماء ١٤٨ ، لسان الميزان ٣/ ٣٦٦ ، أمالى المرتضى ١/ ٩٤ ، البداية والنهاية ١٠/ ٩٦ .

وفى أيامـــه: ثـــار عيينة بن موسى بن كعب فى البصرة فى سنة ١٤٢ هـــ وخرج على الخليفة فقدم الخليفة إلى البصرة بجيش كثيف فقمع تلك الفتنة ثم أمر ببـــناء جســـر من القوارب والخشب فى البصرة وعمر ما كان قد خرب من المدينة وأمن السيل ورجع إلى مقره .

فتنة إبراهيم بن عبد الله وإستيلائه على البصرة

فـــلما كانت سنة ١٤٥ هـــ قدم البصرة من الحجاز إبراهيم بن عبد الله ابن الحسين بن الإمام على بثلاثين ألف مقاتل فدخل البصرة وبايعه أهلها ثم أرسل من استولى على الأهواز وواسط وكان أخوه محمد بن عبد الله قد خـــــرج بالمدينة (يـــثرب) عـــلى أبى جعفـــر المنصور فبايعه أهلها بالخلافة ولقبوه بالمهدى وبالنفس الـــزكية فـــلما كثرت أتباعه وقوى أمره أرسل أخاه إبراهيم هذا لقتال أبى جعفر المنصـــور فى العـــراق ومحو الدولة العباسية معتمداً على ميل أكثر العراقيين وأهل فـــارس لبنى على وفاته أنهم لم يخلصوا النية لأحد فى الجاهلية ولا فى الإسلام وأنهم هم الذين غدروا بأسلافه.

فلما بلغ ذلك أبا جعفر المنصور داهية بنى العباس وزعيمهم أستعد لملاقاته، وكـــان قـــد أرسل قبل قدوم إبراهيم ابن أخيه عيسى بن موسى بجيش كثيف إلى الحجـــاز لقـــتال محمد بن عبد الله فقاتله وقتل أنصاره وفى الأخير قتله وفل جموعه وفـــتك بكثير من العلويين ثم عاد إلى العراق فأمره بقتال إبراهيم وكان إبراهيم قد وصـــله نعـــى أخيه وما حل بأمره فحمل على الكوفة فلاقاه عيسى فتمكن بمهارته

الحـــربية وحسن سياسته وتدبيره من تمزيق جيش إبراهيم وقتله، وقد قتل في هذه الحرب عدد كثير من البصريين الذين أنضموا إلى إبراهيم قبل كان عددهم عشرين ألفــــاً .

فلما انتهى أبو جعفر المنصور من فتنة إبراهيم بالبصرة ولى عليها في أواخر ســنة ١٤٥ هــــ مسلم بن قتيبة الباهلي ثم أمره في سنة ١٤٦ هـــ بقتل أنصار إبراهـــيم من البصريين وتخريب دورهم ومصادرة أموالهم فخشى مسلم عاقبة ذلك الفـــتك لمـــا في هؤلاء من كبار الرجال من أهل النجدة والشرف فتوقف في أمرهم فعزله المنصور وولى عليها محمد بن سليمان بن على العباسى .

ولمـــا قـــدم البصـــرة محمد بن سليمان قبض على خمس وخمسين رجلاً من وجهـــاء البصـــرة وأشـــرافها فصلبهم ثم قبض على خمسمائة رجل من البصريين وأرســـلهم إلى الخـــليفة أبي جعفر المنصور مكبلين في الحديد وصادر أموال الجميع وهـــدم دورهـــم وخرب بساتينهم (ويروى أنه هدم ثلاثة آلاف دار، وأتلف نحو عشـــرين ألـــف مـــن الـــنخيل) وكان عمله هذا من النكبات العظيمة التي نزلت بالبصريين . وذلك في سنة ١٤٦ هـــ .

الأضطرابات في البصرة

وتـــولى إمارة البصرة بعد مسلم بن قتيبة محمد بن عبد الله السفاح في سنة ١٤٧ هـــ ولكنه استقال بعد ثلاثة أشهر فوجهت إمارة البصرة في السنة نفسها إلى نخبة بن سالم ثم عزل في سنة ١٥٠ هـــ وتولى مكانه عقبة بن مسلم .

ولم تكـــن البصرة خالية من الاضطرابات منذ فتنة إبراهيم بن عبد الله ومع ذلـــك فأنهـــا كانت زاهرة زاهية بالعلماء الأعلام وازدحمت برجال العلم والأدب ووصلت فيها العلوم العربية واللغة والآداب إلى أوجها.

وبقـــى عقبة بن مسلم أميراً على البصرة إلى سنة ١٥٢ هـــ فحدثت ثورة بالبحرين فأودع الخليفة إليه إخمادها فسار من البصرة ووجهت إمارتها إلى جابر بن توبـــة ثم عـــزل بعد قليل وتولى مكانه يزيد بن منصور. وفى أيام هذا الأمير فى سنة ١٥٣ هـــ قدم الخليفة جعفر المنصور من مكة إلى البصرة بعد الحج ونزل فى الجسر الكبير بالبصرة وأقام بضعة أيام يتفقد أحوالها، ثم سار إلى بغداد وبعد مسيره بقليل ولى البصرة عبد الملك بن ظبيان النميرى فى سنة ١٥٤ هـــ [(١)] وكان هذا ضعيف الـــتدبير فأستخف به أهل البصرة وكثرت فيها اللصوص وفقد الأمن فعزله الخليفة فى ســـنة ١٥٥ هـــــ وأمر على البصرة الهيثم بن معاوية العتكى وكان من الولاة القديـــرين فأعـــاد الأمـــن إلى نصابه وسار سيرة حسنة فى الأهلين . وفى أيامه زار البصرة الخليفة أبو جعفر المنصور فى سنة ١٥٥ هـــ وأقام بها أربعين يوماً وبنى فيها قصراً فخماً ثم عاد إلى بغداد وكتب إلى الهيثم يأمره ببناء سور على البصرة فبناه فى الســـنة نفسها ١٥٥ هـــ وعلى أثر ذلك ظفر الهيثم فى سنة ١٥٦ هـــ بعمرو بن شـــداد الـــذى كان عاملاً لإبراهيم بن عبد الله على فارس فقتله بالبصرة ثم صلب جثته . وفى أيام هذا الأمير توفى بالبصرة قاضيها سوار بن عبد الله فى سنة ١٥٧ هـ

ولمـــا مـــات الخليفة أبو جعفر المنصور فى سنة ١٥٨ هـــ وتولى الأمير ابنه محمـــد المهدى أقر على البصرة الهيثم بن معاوية ثم عزله فى سنة ١٦٠ هـــ وأرسل بدله محمد بن سليمان العباسى وضم إليه كور دجلة والبحرين .

---

(١) ويروى أنه ولى عقبة بن مسلم فى سنة ١٥٤ هـــ ثم عبد الملك .

فـــزهت البصرة فى أيامه وزادت عمارها وأمتدت أبنيتها وكثرت خيراتها وازدحمت بالناس حتى ضاق مسجدها المشهور بالمصلين لكثرتهم حتى قيل بلغ عدد المصـــلين يوم ذاك عشرين ألف رجل وأضطر الأمير أن يستأذن من الخليفة بتوسيع المســـجد فـــأذن له فى سنة ١٦٠ هـــ فوسعه وبلغت النفقة على توسيعه مائة ألف درهم صرفت بأذن من الخليفة من بيت مال البصرة.

وظل محمد بن سليمان أميراً على البصرة إلى سنة ١٦٦ هـــ فعزله الخليفة محمـــد المهـــدى وولى عليها روح بن حاتم، وفى أيام هذا الأمير فى سنة ١٦٧ هـــ ثارت القبائل القاطنة بين البصرة والبحرين وخرجوا على الحكومة ثم هجموا على نواحـــى البصـــرة ونهبوا وخربوا وقتلوا فجهز الأمير لقتالهم جيشاً فأندحر جيشه فأضـــطر إلى طلب النجدة من بغداد فأمده الخليفة بجيش كبير فتمكن من قمع تلم الثورة وعادت الأمور إلى مجاريها .

البصرة فى عهد الرشيد

توفى الخليفة محمد المهدى فى سنة ١٦٩ هـــ وبويع لابنه موسى الهادى فعزل روحاً عن البصرة وولاها محمد بن سليمان (المرة الثانية) فبقى محمد على البصرة حـــتى مـــات موسى الهادى فى سنة ١٧٠ هـــ وتولى الخلافة أخوه هارون الرشيد فأقـــره عـــلى البصـــرة وظل عليها إلى أن مات بها فى سنة ١٧٣ هـــ فولى هارون الرشـــيد مكانـــه سليمان بن جعفر ثم عزله بعد سته أشهر وأرسل بدله عيسى بن جعفـــر ثم عزله فى سنة ١٧٤ هـــ وولى عليها عبد الصمد بن على العباسى ثم ولى عليها فى سنة ١٧٧ هـــ مالك بن على الخزاعى .

ولم يحـــدث بالبصرة منذ تولى الخلافة الهادى إلى هذه السنة ١٧٧ هـــ ما يكـــدر جو السياسة أو ما يخل بالإدارة والأمن بل كانت هذه المدينة تزداد عمارتها يوماً فيوماً وتكثر خيراتها شهراً فشهراً وأزدحمت بالعلماء الأعلام حتى وصلت إلى أرقـــى درجات الكمال خصوصاً فى أيام هارون الرشيد فأنها صارت من أكبر مدن الإســـلام ومركـــزاً للعلماء العظام ومهداً للعلوم والفنون والآداب وقد زارها هذا الخليفة فى سنة ١٨٠ هـــ وبقى فيها بضعة أيام يتفقد شؤونها وينشط علمائها على سعيهم المتواصل ثم عاد إلى بغداد فولى عليها فى سنة ١٨١ هـــ إسحق بن سليمان ثم أنتقـــلت إمارة هذه المدينة فى عهده من إسحق بن سليمان إلى سليمان بـــــن أبي جعفر فى سنة ١٨٤ هـــ ثم إلى عيسى بن جعفر فى سنة ١٨٥ هـــ ثم إلى الحسن ابن جميل فى سنة ١٨٧ هـــ ثم إلى عيسى بن جعفر فى سنة ١٨٩ هـــ ثم على جرير ابـــن يزيد فى سنة ١٩٠ هـــ ثم (بعد ستة أشهر) إلى عبد الصمد بن على العباسى (ثانية) ثم إسحق بن عيسى بن على فى سنة ١٩٣ هـــ .

ولم يحـــدث فى أيام هارون الرشيد فى البصرة ما يخل بالسياسة أو الإدارة بل كانت زاهية بفحول العلماء الذين أنتهت إليهم رياسة أكثر العلوم العقلية والنقلية وزادت عمارتها وكثرت ثروتها وعظم شأنها وراجت فيها العلوم والآداب والفنون.

ولمـــا تـــولى الخليفة هارون الرشيد فى سنة ١٩٣ هـــ وتولى ولى عهده ابنه محمـــد الأمين أقر إسحق بن عيسى على البصرة فخرج فى السنة نفسها فى أطراف البصرة ردان الحرورى وثار على الحكومة بجموعه فأنخذل وتمزقت جموعه.

وبقيـــت البصـــرة بعـــد هذه الحادثة فى زهو وأطمئنان إلى سنة ١٩٥ هـــ فأرســـل الخـــليفة محمـــد الأمين أميراً عليها المنصور بن المهدى العباسى. وفى أيامه حدثـــت فتـــنة الأمـــين والمأمون واستولت جيوش المأمون على الأهواز والكوفة وواســـط فأضـــطربت البصرة وعزم أهلها على تحصينها وقتال جيش المأمون إذا

أقترب منها انتصاراً للأمين فأبى أميرهم المنصور ذلك حقناً للدماء فأعلن خلع الأمين وبيعة المأمون وخطب له على منبر البصرة ، فبلغ ذلك المأمون فأقره على إمارته . ولكنه وجه فى سنة ١٩٦ هـ إمارة العراق إلى الحسن بن سهل وضم إليه فارس والبحرين فولى ابن سهل على البصرة العباس بن محمد الجعفرى وكانت بغداد يومئذ قد حاصرها طاهر بن الحسين قائد المأمون ولم يبق للأمين غيرها .

البصرة فى عهد المأمون

ولما تم أمر الخلافة للمأمون بعد مقتل الأمين فى سنة ١٩٨ هـ بقيت البصرة من أعمال الحسن بن سهل وظل عليها العباس بن محمد الجعفرى إلى سنة ٢٠٠ هـ وكان قد خرج فى هذه السنة أبو السرايا الطالبى وجمع جموعاً كثيرة واستولى على الأهواز وواسط والكوفة ثم سار بجموعه إلى البصرة وألقى عليها الحصار فدافع عنها أميرها العباس بمن معه من الجنود الأهلية وبعد حروب شديدة انتصر أبو السرايا فى السنة نفسها ودخل البصرة وبقيت هذه المدينة فى قبضة الطالبيين إلى سنة ٢٠٤ هـ فأرسل الخليفة المأمون جيشاً كبيراً يقوده أخوه صالح ابن هارون الرشيد لأسترداد البصرة فجرت بين الفريقين معارك عنيفة دامت نحو شهر فأنجلت عن أنتصار جيوش المأمون ودخول صالح البصرة ظافراً فى السنة نفسها .

ومكث صالح على إمارة البصرة إلى سنة ٢٠٦ هـ فولى المأمون عليها داود بن مسجود وضم إليه البحرين واليمامة. وفى أيام هذا الأمير ظهر الزط فى

طريق البصرة ونهبوا بعض القرى [١] فقاتلهم داود حتى أعاد الأمن إلى نصابه وبقى على إمارته إلى سنة ٢١٥ هـ .

وفى أيامه فى سنة ٢١٠ هـ أمر الخليفة المأمون بإحصاء من فى البصرة من العلماء والتلاميذ فبلغ عدد العلماء سبعمائة وعدد تلا مذتهم أحد عشر ألفاً فلما وقف المأمون على هذا الأحصاء سر سروراً عظيماً وأحب أن ينشط المحتاجين منهم فأمر بتخصيص رواتب لهم وأمر بإرسال نسخ من مؤلفات أولئك العلماء فجمعوا لـه ماألفوه من الكتب العلمية المختلفة فى مدة عشرين سنة فكانت على ما ذكره بعض المؤرخين أكثر من مائتى ألف مؤلف بين صغير وكبير أرسلت إلى المأمون فى ثلاثة سفن فلما وصلت بغداد ضمها المأمون إلى مكتبته .

وتولى البصرة بعد داود محمد بن عباد المهلبى فى سنة ٢١٦ هـ فمات فى السنة نفسها فولى المأمون بدله عجيف بن عتبة. ولما توفى المأمون فى سنة ٢١٨ هـ وتولى الخلافة أخوه المعتصم بالله أقر عجيفاً على إمارته . فظهر الزط مرة أخرى فى أيامه فى سنة ٢١٩ هـ وغلبوا على طريق البصرة ونهبوا بعض القرى المجاورة للبصرة وأحرقوا بعضها وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة فأمر الخليفة عجيفاً بقتالهم فخرج إليهم بجيشه فأنتصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسمائة حتى أضطر الباقون إلى طلب الأمان والعفو فأمنهم عجيف على شرط أن لا يعودوا إلى الفساد وذلك فى سنة ٢٢٠ هـ .

ودامت إمارة عجيف على البصرة إلى أن توفى المعتصم فى سنة ٢٢٧ هـ وتولى الخلافة أبنه الواثق بالله فأقر عجيفاً على عمله ثم مات الواثق فى سنة ٢٣٢ هـ وتولى الخلافة أخوه المتوكل على الله فعزل عجيفاً وولى على البصرة

---

(١) الزط قوم من أخلاط الناس اجتمعوا على النهب والسلب والفساد .

عمـــير بـــن عمار فى السنة نفسها . ولم يحدث فى البصرة بعد حادثة الزط ما يخل بالأمن .

الفتن فى البصرة

بقـــى عمير بن عمار على إمارة البصرة إلى سنة ٢٣٩ هـــ فتولى إمارتها محمـــد بـــن رجا . وفى أيامه: فسدت أحوال البصرة واختلفت كلمة أهلها وقامت بيـــنهم الفتن وانقسموا إلى فرقتين (البلالية والسعدية) وآلت تلك الفتن إلى القتال داخـــل المديـــنة ثم ثاروا على أميرهم محمد بن رجا وطردوه وأخرجوا المسجونين ونهبوا بيت المال وبيوت بعض المثرين وظلت البصرة فوضى ودامت الفتن والمعارك بـــين أهلها إلى أن قتل الخليفة المتوكل فى سامرا فى سنة ٢٤٧ هـــ وتولى بعده أبنه المنتصـــر بالله ثم مات فى سنة ٢٤٨ هـــ وتولى الخلافة المستعين بالله ثم خلع فى سنة ٢٥٢ هـــــ وبويع المعتز ومضت على خلافته سنة واحدة والفوضى ضاربه اطنابها بالبصـــرة وقـــد تولى إمارتها فى هذه المدة جماعة من الولاة فلم يتمكنوا من إصلاح الحال ولا أستقام أحد منهم شهوراً بل كان بعضهم يستقيل وبعضهم يعزل ومنهم من يطرد ومنهم من يقتل ثم سكنت تلك الفتن فى سنة ٢٥٣ هـــ .

استيلاء الزنوج على البصرة

لم يكد البصريون يستريحون من تلك الفتن التى تخبطهم وجلبت عليهم ضروب النوائب حتى ظهر فى سنة ٢٥٤ هـ رجل أدعى الغيب وزعم أنه على ابن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين ابن الإمام على وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ فألتفت حوله منهم نحو الألفين فقوى بهم وعاث فى بادية البصرة فساداً ثم قصد البصرة فساداً ثم قصد البصرة فأضطر البصريون إلى قتاله فحدثت بين الفريقين عدة معارك حتى تمكن البصريون من صده بعد أن قتل منهم أكثر من ألف رجل .

ولما أنسحب صاحب الزنج عن البصرة نهب أكثر القرى وأحرق بعضها وكان قد تولى الخلافة المهتدى فى سنة ٢٥٥ هـ وبلغته أعمال صاحب الزنج فأرسل فى السنة نفسها أميراً على البصرة الأحوص الباهلى وسير معه جيشاً كبيراً بقيادة جعلان التركى لقتال الزنوج فحدثت بين الطرفين حروب عديدة فاز فى آخرها صاحب الزنج وأضطر القائد جعلان إلى تحصين البصرة والدفاع عنها وألف البصريون جيشاً منهم فكان فرقتين (السعيدية والهلالية) وعلى أثر ذلك هجم الزنوج على البصرة فى سنة ٢٥٦ هـ فى الوقت الذى تولى فيه الخلافة المعتمد على الله فجرت بين الزنوج وبين البصريين حروب عنيفة دامت أحد عشر يوماً انتهت باندحار الزنوج [١] فعادوا عن البصرة ولكنهم نهبوا قراها وأحرقوا بعضها

---

(١) ويروى أن البصريين اندحروا فتحصنوا بالمدينة .

وقاتـــلوا سكان أبي الخصيب أربعة أيام حتى استولوا على قريتهم وأحرقوا دورها ونهـــبوا ما فيها وأعملوا السيف فى أهلها، وقد قتل فى هذه الحادثة أكثر من خمسة آلاف رجل من البصريين ثم حمل الزنوج على الأبلة فقاتلهم أهلها فأنخذلوا واستولى الزنوج على المدينة ثم انسحبوا منها .

فـــلما كـــانت سنة ٢٥٧ هـــ أرسل الخليفة المعتمد على الله جيشاً كبيراً بقيادة سعيد بن صالح الحاجب لقتال الزنوج فالتقى بهم سعيد فأنتصر عليهم وفتك بهـــم ولكنهم لموا شعثهم وهجموا عليه هجمة المستميت فأنهزمت عساكره بعد أن قـــتل مـــنهم عدد كبير واضطر القائد سعيد إلى الهرب فقتل فاستولى الزنوج على معســـكره. فبـــلغ ذلك الخليفة فولى فى أواخر هذه السنة على البصرة منصور بن جعفـــر الخياط وأرسله بجيش كبير فحدثت بينه وبين الزنوج معركة هائلة فى محل يـــبعد عن البصرة ثلاث ساعات فانجلت عن انتصار الزنوج فأغرقوا سفن الخليفة وأتلفوا من فيها من الجنود والأموال. ووقع القائد منصور قتيلاً .

وعـــلى أثر اندحار جيش القائد منصور وقتله استولى الزنوج على الأهواز والأبـــلة وعـــبادان وواسط وقوى أمرهم وأشتدت شوكتهم فأعادوا الكرة على البصـــرة فأجـــتمع البصـــريون وألفوا منهم جيشاً بلغ عدد عشرون ألف مقاتل وخرجوا للدفاع فدامت الحرب بينهم وبين الزنوج ثمانية أيام بلياليها وكانت حرب دموية هائلة أسفرت عن انكسار البصريين فاستولى الزنوج على البصرة بعد أن قتل من البصريين عدد كبير وذلك فى أواخر سنة ٢٥٧ هـــ .

ولما دخل الزنوج البصرة انهزم منها عدد كثير من البصريين واختفى الناس فى دورهم فنهب الزنوج المدينة وأحرقوا أكثر دورها ودام النهب والسلب والقتل

والتخريب والتدمير ثلاثة أيام ثم أعلن قائدهم الأمان ونادى مناديه باجتماع الناس في المسجد لاستماع الأوامر فأجتمعوا (وكانوا على ما قيل نحو مائة ألف نسمة) فأمر بقتلهم وبأحراق المسجد وهدمه فأعمل أصحابه السيف في البصريين فلم ينج منهم إلا من فر .

وبلغ الخليفة المعتمد خبر سقوط البصرة بيد الزنوج واستفحال أمرهم فجهز جيشاً كبيراً وسيره بقيادة أحمد المولد (ويروى محمد) فاندحر أحمد واضطر الخليفة إلى تجهيز جيش آخر في سنة ٢٥٨ هـ وأرسله بقيادة مفلح فأصاب مفلح سهم فقتله فأنهزم جيشه فأرسل الخليفة أخاه أبا أحمد طلحة الملقب بالموفق بالله وسيره بجيش كثيف وكتب إلى بغداد وغيرها من المدن العراقية يأمر الولاة بجمع الجيوش وإرسالها مدداً للموفق .

فسار الموفق حتى وصل نهر معقل (بالقرب من البصرة) والتقى بالزنوج وهناك فجرت بينه وبينهم حروب عنيفة اندحر في آخرها الزنوج ووقع كثير منهم في الأسر وفيهم قائدهم يحيى بن محمد البحراني فأنه وقع أسيراً في قبضة الموفق فأرسله إلى بغداد ومنها أرسل إلى سامراء فأمر الخليفة بقتله .

وكانت البصرة حينذاك قد فشى فيها الطاعون وسرى منها إلى واسط وغيرها فعاد الموفق إلى سامرا بعد هذه الانتصار وتفرقت أكثر جنوده . فأرسل الخليفة في سنة ٢٥٩ هـ إسحق بن كنداج فقاتل الزنوج فدحرهم عدة مرات ولكنه لم يتمكن من الانتصار عليهم انتصاراً نهائياً فأرسل الخليفة قائده موسى بن بغا التركي بجيش كبير فأنتصر موسى على الزنوج وقتل منهم عدداً كبيراً فبلغ

انتصـــاره البصـــريين فثاروا على من عندهم من الزنوج فطرودهم وتلاهم أهل أبى الخصيب فثاروا على الزنوج ومنعوا إرسال الذخائر إليهم فضاق الحال بالزنوج .

ولـــا كانت سنة ٢٦٠ هـــ استقال القائد موسى بن بغا من ولاية البصرة وقيـــادة الجيش فأرسل الخليفة بدله مسرور البلخى وأودع إليه قتال الزنوج فألتقى بهم وحدثت بينه وبينهم معركتين فعاد إلى بغداد بسبب حدوث فتنة فيها .

دخـــلت ســـنة ٢٦١ هـــ فجهز الخليفة جيشاً جديداً وسيره بقيادة أخيه الموفق (مرة ثانية) على البصرة لقتال الزنوج وسير معه أبنه أبا العباس فسار الموفق بجيـــش جـــرار قيل كان عدده خمسين ألف مقاتل حتى وصل بالقرب من البصرة فعسكر فى الجهة الشرقية منها بالقرب من شط العرب وبنى هناك مدينة أتخذها مقراً للحركات الحربية فسميت الموفقية نسبة إليه . ثم جلب إليها التجار والباعة فأبتنى فيهـــا ســـوقاً فبنى الناس المنازل وعمرت حتى صارت مدينة كبيرة وبقيت مركزاً لسوق الجيوش حتى انتهى الموفق من أمر الزنوج كما سنذكره .

أمـــا الزنوج فأنهم كانوا قد بنوا لهم مدينة كبيرة فى غربى نهر أبى الخصيب وسموهـــا المختـــارة وبنوا عليها سوراً وأبراجاً وخندقاً وجعلوا لحمايتها ثلاثة آلاف مقـــاتل وجمعوا فيها عدداً عظيماً من النساء والأطفال الذين نهبوا فى غاراتهم على البصـــرة والأيلة والأهواز وغيرها . وأتخذوا هذه المدينة مركزاً للحركات الحربية كما أتخذ الموفق مدينته مقراً لسوق الجيش .

إنتهاء أمر الزنوج

ظل الموفق يسير الجيش براً ونهراً لقتال الزنوج والخليفة يمده بالعدد والعدد فانتصر الموفق فى أكثر المواقع وكانت الجيوش البرية تحت قيادته والجيوش النهرية بقيادة أبي العباس وظل النصر حليف الموفق حتى اضطرت القبائل المتفقة مع الزنج إلى طلب الأمان والعفو وشرعت تلك القبائل تنحاز الواحدة تلو الأخرى إلى الموفق فضعف أمر الزنوج وقوى أمر الموفق وكثرت جيوشه وتم له النصر فى شهر جمادى الآخرة سنة ٢٧٠ هـ وأحتل مدينتهم المختارة وقتل رؤساء تلك الفتنة واستولى على أموالهم ودورهم وقتل زعيمهم على بن عبد الرحيم وأرسل رأسه إلى أخيه المعتمد وكان قتله بشرى عظيمة فى العراق ثم جمع الموفق الأموال التى نهبها الزنوج من البلاد وكذلك النساء والأطفال فأرجع الجميع إلى أصحابها فأرتاح الناس والبلاد من غارات الزنوج بعد أن اتعبوا الدولة خمسة عشر عاماً . وكانوا مشغلة القواد والخليفة حتى خشى منهم أن يستولوا على العراق كله فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة قد ازدادت ضعفاً على ضعف واستبد القواد والولاة فى الأطراف . وقد قتل فى هذه الحروب عدة من القواد منهم سعيد بن صالح الحاجب ومفلح ومنصور بن جعفر الخياط وغيره وقاتلهم جماعة من القواد فلم يظفروا بهم منهم أحمد المولد وأحمد بن ليثويه وموسى بن بغا ومسرور البلخى وإسحق بن كنداج وغيره ولم ينتصر أحد من القواد عليهم انتصاراً نهائياً غير الموفق لبراعته فى الأساليب الحربية وحسن سيرته وحزمه .

وكان أول ظهور صاحب الزنج هذا فى إحدى قرى البصرة التى هو من أهلها فأدعى أنه من نسل الإمام على كما تقدم وهو فى الحقيقة اسمه على بن

الرحـــيم من ولد القيس. وزعم أنه يطلع على ما فى ضمائر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم . ثم دعى الزنوج الذين يعملون فى السياخ فى نواحى البصرة والكوفة واستنهضـــهم فترك أكثرهم مواليهم وقاموا معه فاطمعهم فى أسيادهم ووعدهم أنه يمـــلكهم مـــا فى أيديهـــم فأجتمع له خلق كثير منهم فعبر دجلة ونزل قرية تسمى الديـــنارية وزعـــم أن ســـحابة أظلته ونودى منها (أقصد البصرة تملكها) فقاتل الخلافـــة العباســـية باســـم الدولة العلوية أعواماً وفعل ما فعل من قتل ونهب كما ذكـــرناه قبلاً . ولقد بالغ بعض المؤرخين فقال أنه قتل من البصريين مائة وخمسين ألفاً عداً الأسرى من الرجال والنساء والأطفال الذين بلغ عددهم مائتى ألف أمرأة وعشـــرين ألـــف رجل وعشرة آلاف طفل ، وأنه قتل فى جميع حروبه نحو المليونين وخمسمائة ألف نفس ، ونهب من الأموال ما قيمتها عشرين مليون دينار .

انحطاط البصرة
وهجمات القرامطة عليها

لما انتهت فتنة الزنوج التى أتعبت الدولة العباسية أعواماً طوالاً ولى الخليفة المعـــتمد إمارة البصرة فى سنة ٢٧١ هـــ العباس بن تركس وأمره بتعمير ما خربته تـــلك الفتـــنة فصدع بالأمر وعاد البصريون الذين أنهزموا إلى مدينتهم ولكن بعد الخـــراب كمـــا قيل بالمثل (بعد خراب البصرة) لأن هذه المدينة كانت قد خربت لتوالى الفتن والحروب وأخذت منذ حادثة الزنوج بالتقهقر والانحطاط وقل سكانها وذهب أكثر عمرانها وزالت ثروتها وخيراتها .

ولما توفى الخليفة المعتمد ببغداد فى سنة ٢٧٩ هـ وتولى الخلافة المعتضد بالله ولى على البصرة أحمد بن محمد بن يحيى فظهر فى أيامه فى سنة ٢٨٥ هـ فى البحرين رجلاً يدعى أبو سعيد الجنابى وكان قد تأمر على القرامطة وجمع حوله جماعات من رعاع الناس وفتك بأهل البحرين والقطيف ثم قصد البصرة فى سنة ٢٨٦ هـ فكتب إلى الخليفة المعتضد بالله أميرها أحمد يخبره بما عزم عليه زعيم القرامطة من الهجوم على البصرة فأمره ببناء سور البصرة فبناه وأنفق عليه أربعة عشر ألف دينار .

وعلى أثر ذلك هجم أبو سعيد القرمطى بجموعه على البصرة فى سنة ٢٨٧ هـ فجمع أميرها أحمد [1] أهلها وضمهم إلى عساكره التى أرسلها إليه الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل فدافع عن المدينة حتى طرد القرامطة فعادوا بالفشل ولكنهم انتصروا على جيوش الخليفة بالبحرين. ثم انتشرت القرامطة فى سنة ٢٨٩ هـ (فى السنة التى مات بها ببغداد الخليفة المعتضد وتولى مكانه ابنه المكتفى) فى أطراف الكوفة فوجه الخليفة إليهم جيشاً فأنتصر جيش الخليفة وقتل منهم عدد كبير وأسر زعيمهم أبا سعيد وجماعة من أصحابه وجئ بهم إلى بغداد فعذبهم الخليفة فمات أبو سعيد الهجرى تحت العذاب وقتل قائده أبو الفوارس مع أصحابه المأسورين . وعلى أثر ذلك أمر القرامطة عليهم أبا طاهر سليمان بن أبى سعيد وحملوا على البصرة وحاصروها فى السنة نفسها ٢٨٩ هـ ودامت الحروب بينهم وبين البصريين ثمانية عشر يوماً فأنتصر البصريون وعاد القرامطة بالفشل والخسران .

---

(١) ويروى كان أميرها إذ ذاك محمد الواثقى .

وتــوفى الخليفة المكتفى بالله فى سنة ٢٩٥ هــ وتولى الخلافة بعده المقتدر بــالله فــولى على البصرة فى سنة ٢٩٩ هــ محمد بن إسحق بن كنداج وفى أوائل أيامه زحف القرامطة على البصرة بقيادة زعيمهم إلى طاهر سليمان فوصلوا البصرة على حين غفلة من أهلها فى يوم الجمعة والناس فى الصلاة فدخلوا المدينة وقتلوا من صادفهم من أهله فأسرع الأمير محمد وجمع الجنود فقاتلهم حتى طردهم .

الفتن فى البصرة
وهجوم القرامطة أيضاً

لم تكد البصرة تستريح من هجمات الخوارج حتى قامت فتنة أهلية فيها فى ســنة ٣٠٥ هــ وكانت أولاً بين قائد الجيوش الحسن بن خليل وبين أمير البصرة فأنحــاز الأهلون إلى الأمير فحقد القائد فهجم عليهم وهم فى المسجد يصلون فقتل عــدداً كبيراً منهم وبين أمير البصرة فأنحاز الأهلون إلى الأمير فحقد القائد فهجم عليهم وهم فى المسجد يصلون فقتل عدداً كبيراً منهم فثاروا عليه وقاتلوه فحدثت فتــنة كــبيرة داخل المدينة. فلما وصل الخبر إلى الخليفة ببغداد أكتفى بعزل القائد فعزله وأرسل بدله أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعى .

وبعــد تــلك الفتنة أعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان إلى الوزيــر حامد بن العباس فى سنة ٣٠٧ هــ فطمع هذا الأمير فى أموال الناس حتى ضــاق الحال بالبصريين وغلت الأسعار وتذمر الأهلون من أميرهم فأصدر الخليفة أمراً بنسخ ذلك الضمان.

ثم وجهت ولاية البصرة فى ٣١٠ هـ إلى سبك المفلحى، وفى أيامه: زحف على البصرة جمع كبير من القرامطة (وقيل كانوا ألفاً وسبعمائة مقاتل) يقودهم زعيمهم أبو طاهر سليمان فوصلوا البصرة ليلاً وكانوا قد صنعوا سلالم من الشعر ليتسلقوا بها سور البصرة فوضعوها على السور وصعدوا إليه وفتحوا باب المدينة وقتلوا حراسها فلم يشعر أمير البصرة سبك المفلحى بهم إلا فى السحر فأسرع فركب إليهم بجيشه فقتلوه وفرقوا جيشه ثم وضعوا السيف فى البصريين ودامت المعارك بين الطرفين أحد عشر يوماً داخل المدينة فعل القرامطة فى خلالها أنواع المنكرات من نهب وسلب وقتل وتخريب ثم أنسحبوا .

وعلى أثر هذه الحادثة ولى الخليفة المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفاروقى فى سنة ٣١١ هـ فدخلها بعد انسحاب القرامطة منها بأيام.

وكان قد قتل فى هذه الحادثة من البصريين ألف وخمسمائة رجل ووقع فى الأسر منهم بيد القرامطة من النساء والأطفال عدد كثير قيل كان ألف أمرأة وستمائة طفل.

وفى أيام إمارة محمد بن عبد الله الفاروقى فى سنة ٣١٣ هـ قطع القرامطة طريق البصرة فكتب محمد إلى الخليفة يخبره بذلك فأصدر الخليفة أمراً إلى ولاة المدن يأمرهم بالتأهب لقتال القرامطة. فبلغ ذلك القرامطة فأنسحبوا .

ولاية ابن رائق على البصرة

دخـلت سنة ٣١٦ هـ فأعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان إلى محمـد بن رائق فسار إلى عمله وقاتل القرامطة القريبين منه حتى أبعدهم ومكث عـلى ولايته حتى مات الخليفة المقتدر فى سنة ٣٢٠ هـ وتولى بعده القاهر بالله ثم تـولى الخلافة الراضى بالله فى سنة ٣٢٢ هـ فى الوقت الذى كان فيه أمر الخلافة قـد ازداد ضعفاً وتسلط الأتراك ببغداد على شؤون الدولة وقلت الأموال وتغلب الـولاة على أطراف المملكة وأستقل بنو حمدان بالموصل وديار بكر وربيعة ومضر فأستبد ابن رائق بالبصرة وواسط وأعمالهما وأمتنع عن إرسال الخراج السنوى إلى دار الخلافـة واستخلف على البصرة محمد بن يزداد وأقام هو بواسط ليكون قريباً من بغداد.

استيلاء البريدى على البصرة

عـندما ضـاق الحـال بالخليفة الراضى لقلة الأموال قلد ابن رائق إمارة الأمـراء ببغداد فى سنة ٣٢٤ هـ فأستبد ابن رائق حتى لم يبق للخليفة غير الاسم والخطـبة وعلى أثر ذلك أرسل حاكم الأهواز أبو عبد الله محمد بن البريدى غلامه أقـبالاً فى ألفى مقاتل لأخذ البصرة من ابن يزداد فساعده البصريون ليتخلصوا من ظـلم ابـن يزداد الذى أساء السيرة معهم وأخذ أموال مثريهم بالباطل وأكثر من الضـرائب حتى اضطروا إلى الإلتجاء بابن البريدى واستنجدوا به وبعد مناوشات

انتصر أقبال ودخل البصرة ظافراً فى سنة ٣٢٥ هـ وبعد قليل سار إليها ابن البريدى وكتب إلى الخليفة يطلب منه توجيه البصرة إليه فأصدر الخليفة منشورة بذلك فدخلت البصرة فى ضمان ابن البريدى فخفف عن أهلها الضرائب والمكوس ولكنه لما استتب أمره ورسخت قدماه أضطهد الأهلين وظلمهم حتى اضطروا إلى رفع الشكوى إلى الخليفة وأخبره بما يقاسونه من ظلم ابن البريدى. ولما كان الخليفة يومئذ ضعيفاً لا يقدر على شيء أصدر أمره بتوجيه ولاية البصرة إلى القائد بجكم التركى ليأخذها بالسيف فسار بجكم بعشرة آلاف من الأتراك فى سنة ٣٢٦ هـ وبعد عدة وقائع أستولى بجكم على البصرة وطرد منها ابن البريدى .

ولم تمض أشهر قليلة حتى حدث خلاف بين بجكم وبين أمير الأمراء ببغداد ابن رائق فسار بجكم بجيشه إلى بغداد فى سنة ٣٢٦ هـ فتغلب على ابن رائق فقلده الخليفة إمارة الأمراء. وعلى أثر ذلك وجهت إمارة البصرة إلى ابن البريدى (ثانية) فى سنة ٣٢٧ هـ (ويروى فى سنة ٣٢٨ م) وضمن رسومها وضرائبها وأعشارها .

ولما مات الراضى بالله طمع ابن البريدى ببغداد فسير فى سنة ٣٢٩ هـ جيشاً من البصرة لقتال بجكم فجهز له بجكم جيشاً سيره بقيادة توزون التركى فالتقى الجيشان فأندحر جيش بجكم أولاً ثم انتصر وفى أثناء ذلك مات بجكم قتيلاً بطعنة غلام كردى طعنه حينما حمل على الأكراد طمعاً فى أموالهم .

وفى أيام إمارة ابن البريدى على البصرة حمل يوسف بن وجيه حاكم عمان على البصرة فى سنة ٣٣٢ هـ فى سفن كثيرة مشحونة بالرجال فاستولى على الأبلة ثم تقدم نحو البصرة فخرج ابن البريدى لقتاله ولكنه لما علم بكثرة جيوش حاكم عمان عمد إلى الحيلة فتظاهر بالتقهقر خدعة فلما جن الليل هجم بجيشه فأحرق سفن يوسف وصافح جيشه بالسيف فقتل أكثرهم ونهب أموالهم وذخائرهم

فأنهــزم يوسف بالفشل والخسران. وفى السنة نفسها ٣٣٢ هــ زحف معز الدولة ابــن بوية بعساكره إلى البصرة فحدثت بينه وبين ابن البريدى عدة وقائع اندحر فى آخــرها ابــن البريدى وتحسن بالمدينة فحاصره معز الدولة أكثر من شهر ثم ترك الحصار وعاد إلى مقره .

وبقــى ابن البريدى مستقلاً بإمارة البصرة إلى أن توفى فيها فى سنة ٣٣٤ هــ فــتولى مكانــه أبنه أبو القاسم بن أبى عبد الله محمد بن البريدى فأرسل إليه الخليفة منشور الإمارة على جرى العادة فى ذلك العهد .

استيلاء معز الدولة البويهى على البصرة أو البصرة فى عهد بنى بوية

لمــا استولى معز الدولة أحمد بن أبى شجاع بويه على بغداد وأسس الدولة الــبويهية فى سنة ٣٣٤ هــ أستأمن إليه أبو القاسم ابن البريدى وضمن له واسط والبصرة وأعمالهما وعقد له فى السنة نفسها ثم حدث بينهما خلاف فى سنة ٣٣٥ هــــ فأمتنع أبو القاسم عن تسليم المال المقرر إرساله إلى بغداد فجهز معز الدولة جيشاً لطرده من البصرة فألتقى جيشه بجيش ابن البريدى وقتل فى هذه الحرب من وجهاء البصرة وأعيانها الذين كانوا أنصاراً لابن البريدى سبعون رجلاً .

فلما بلغ ابن البريدى خبر هزيمة جيشه جهز جيشاً جديداً فعلم بذلك معز الدولــة فجهــز جيشـــاً كبيراً قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة المطيع لله وتوجه نحو

البصـــرة فى سنة ٣٣٦ هـــ فلما اقترب معز الدولة إلى محل يسمى الدرهمية وسمع جيـــش ابـــن البريدى بقدوم الخليفة معه استعظموا ذلك فأستأمنوا إلى معز الدولة وانحـــازوا إليـــه فخاف ابن البريدى فأنهزم أبي هجر ملتجئاً بالقرامطة فدخل معز الدولـــة والخليفة البصرة باحتفال عظيم . وبعد أن نظم معز الدولة شؤون البصرة ولى عـــليها وزيره أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى وذلك فى سنة ٣٣٧ هـــ وعاد إلى بغداد ومعه الخليفة المطيع .

وفى أيـــام إمارة الوزير ابن المهلبى على البصرة ثار أمير البطيحة عمران بن شـــاهين على معز الدولة فقطع طريق البصرة فى سنة ٣٣٨ هـــ فقاتله ابن المهلبى ولكـــنه لم يظفـــر بـــه . وحمل فى سنة ٣٤١ هـــ على البصرة (ثانية) حاكم عمان يوســـف بـــن وجيه وكان القرامطة قد ثاروا يومئذ على معز الدولة فكتب إليهم يوســـف يطمعهـــم فى البصرة وطلب منهم أن ينجدوه بجيش برى فأمدوه فحاصر البصرة نهراً وبراً ودام الحصار نحو شهر فقاتله ابن المهلبى حتى جائته النجدات من معـــز الدولة من بغداد فأنتصر على يوسف انتصاراً نهائياً وأغرق سفنه ونهب أمواله وذخائره فأنهزم يوسف بالخذلان والخسران .

إمارة حبشى على البصرة وعصيانه

دخـــلت سنة ٣٤٧ هـــ فوجهت إمارة البصرة إلى حبشى بن معز الدولة فأستقام أمره فيها حتى مات أبوه معز الدولة ببغداد فى سنة ٣٥٦ هـــ وتولى بعده ابنه بختيار الملقب عز الدولة فحدثت بين الأخوين وحشة فى سنة ٣٥٧ هـــ فعصى حبشـــى بالبصرة وخرج على أخيه فأرسل عز الدولة فى السنة نفسها جيشاً بقيادة أبي الفضل العباس بن الحسين لقتال حبشى وطرده من البصرة وبعد حروب دامت

أياماً انتصر أبو الفضل فدخل البصرة منصوراً وأسر حبشى وأرسله مخفوراً إلى بغداد فحبس بها وصار أمواله .

ومكث أبو الفضل أميراً على البصرة أشهراً ثم ولى عليها عز الدولة أبنه المرزبان .

إمارة المرزبان وعصيانه

تولى المرزبان إمارة البصرة بعد أبى الفضل فحدثت فى أيامه فتنة بين الديلم والأترك فى الأهواز أدت إلى حروب دموية بين الطرفين فبلغ ذلك من فى البصرة من الديلم فثاروا على الأتراك الذين فيها ونادوا بإباحة دمائهم فقتل من الأتراك عدد كثير وذلك فى سنة ٣٦٣ هـ .

وعلى أثر ذلك سار عز الدولة من الأهواز إلى البصرة وكان قد ذهب إلى الأهواز لأمور إدارية فثار عليه ببغداد القائد سبكتكين التركى على أثر نكبة الأتراك فى الأهواز والبصرة وتغلب سبكتكين على حكومة بغداد وطلب من الخليفة الطايع أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ابنه عبد الكريم لأنه كان قد أصيب بالفالج وثقل لسانه فخلع نفسه وبايع لأبنه ولقبه الطايع لله فى سنة ٣٦٣ هـ .

وبعد أن قام عز الدولة بالبصرة أياماً سار إلى واسط ثم توجه إلى بغداد فحدثت بينه وبين سبكتكين فتنة أخرى فأنسحب إلى واسط وأستنجد بابن عمه عضد الدولة صاحب بلاد فارس وحدث ما حدث فى بغداد حتى أغتصب عضد الدولة بغداد وحبس عز الدولة .

فبلغ أمير البصرة المرزبان ابن عز الدولة خبر أعتقال أبيه وما جرى له مع عضد الدولة فثار فى البصرة فى سنة ٣٦٤ هـ وهو يومئذ أميرها من قبل أبيه فكاتب أمراء البلاد وأستنجد بهم على نصر أبيه وكتب إلى ركن الدولة يشكو إليه أعمال ابنه عضد الدولة ويخبره بما فعل بأبيه وبعد حوادث يطول شرحها أخرج عضد الدولة عز الدولة من السجن وأرجعه إلى منصبه وعاد إلى مقره فى السنة نفسها .

عضد الدولة وشرف الدولة والبصرة

ولما مات ركن الدولة وتولى ملكه ابنه عضد الدولة فى سنة ٣٦٦ هـ حدثت بينه وبين عز الدولة صاحب العراق وحشة فخلاف فحرب فاستولى عضد الدولة على البصرة أولاً فى سنة ٣٦٦ هـ فأقام بها أياماً ثم ولى عليها أبنه أبا طاهر وسار منها فاستولى على واسط ثم انتهت تلك الفتنة بإستيلاء عضد الدولة على العراق كله فدخل بغداد فى سنة ٣٦٧ هـ فى عهد الخليفة الطايع لله . وبقى عضد الدولة ملكاً على العراق إلى سنة ٣٧٣ هـ فتوفى ببغداد وتولى بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار. وفى السنة نفسها طمع فى العراق أخوه شرف الدولة أبو الفوارس ابن عضد الدولة فحمل على أخيه صمصام الدولة بخمسة عشر ألف مقاتل من الديلم وسار من الأهواز قاصداً البصرة وعليها يومئذ أميراً أبو طاهر بن عضد الدولة فأستولى عليها شرف الدولة عنوة وأقطعها إلى أخيه أبى الحسن بن

عضـــد الدولة وذلك فى سنة ٣٧٣ هــ . فبلغ صمصام الدولة خبر إستيلاء شرف الدولـــة عـــلى البصرة فجهز لقتاله جيشاً وسيره بقيادة الأمير دبعش فعلم بذلك شـــرف الدولـــة فسير جيشاً لقتاله بقيادة الأمير دبيس الأسدى فالتقى الجيشان فدارت الدائرة على جيش صمصام الدولة وأسر قائده . ثم أصطلح الأخوان على أن تكـــون البصـــرة لشرف الدولة وعلى أثر ذلك ولى شرف الدولة على البصرة أخـــاه أبـــا طاهر ابن عضد الدولة فأستبد بها ثم عصى وأستقل فى سنة ٣٧٥ هــ فجهز له شرف الدولة جيشاً وسار به فأنتصر عليه وأسره ودخل البصرة ظافراً .

وكـــانت الفتن مستمرة بين بنى بويه فعادت الحرب فى سنة ٣٧٦ هــ بين صمصام الدولة وبين شرف الدولة فاستولى الثانى على واسط أولاً ثم على بغداد فى ســـنة ٣٧٧ هــ ودخلت جميع البلاد العراقية تحت حكمه حتى مات فى سنة ٣٧٩ هــ وكان من الملوك المصلحين كعضد الدولة فتولى بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة وهو الذى خلع الخليفة الطايع طمعاً فى أمواله التى صادرها وولى الخلافة أبا العباس أحمد ابن الأمير إسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله فى سنة ٣٨١ هــ .

البصرة فى أيام بهاء الدولة

تولى بهاء الدولة الملك فى العراق فى سنة ٣٧٩ هــ فأقام ببغداد وولى على البصرة نواباً .

وفى أيامـــه فى ســـنة ٣٨٦ هــ زحف على البصرة لشكرستان أحد قواد صمصـــام الدولة البويهى فقاتله نواب بهاء الدولة فانتصر عليهم بمعاضدة جماعة من البصـــريين مـــنهم أبو الحسن بن أبى جعفر العلوى ودخل البصرة ظافراً فى السنة نفســـها . ولمـــا استتب أمره فيها طمع فى أموال الناس فأبتز أموال المثرين وفتك

بجماعـــة كـــبيرة من الوجوه والأعيان حتى اضطرت جماعة منهم إلى ترك أوطانهم. ولبثت لشكرستان بالبصرة أكثر من شهر فحمل عليه أمير البطيحة مهذب الدولة أبـــو الحســـن على بن نصر بإيعاز من بهاء الدولة وكان تحت سيادته ، فلما أقترب مهـــذب الدولة من البصرة فر منها لشكرستان خوفاً من أن يقع فى الأسر ودخلها مهذب الدولة ظافراً فولى عليها نائباً من قبله وظلت فى قبضته إلى سنة ٣٩١ هـــ .

دخلت سنة ٣٩١ هـــ فجمع القائد لشكرستان جيشاً كبيراً فأعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة وأعاد الظلم والسلب وصادر أملاك أكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من أهلها إلى بلاد أخرى تخلصاً من ظلمه . فبقيت هذه المدينة تحت حكمه القاسى إلى سنة ٣٩٥ هـــ .

وفى هـــذه السنة نفسها ٣٩٥ هـــ جهز أمير البطيحة مهذب الدولة جيشاً كثيفاً وصيره بقيادة أحد قواده أبى العباس بن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصـــرة وبعد معـــارك دامت أكثر من شهرين أنهزم لشكرستان بمن معه فأستولى أبو العباس على البصرة فى السنة نفسها .

وقـــد قـــتل فى هذه الحادثة نحو الخمسة آلاف من الفريقين ، وغرقت نحو ثلاثمائة سفينة .

استبداد أبي العباس فى البصرة

كان أبو العباس بن واصل من قواد مهذب الدولة أمير البطيحة وكان من المخلصين له فلما أنتصر على لشكرستان وطرده من البصرة واستتب أمره فيها طمع بالملك فخلع طاعة مهذب الدولة واستبد بالأمور فسير مهذب الدولة جيشاً لطرده ففشل جيشه فجهز له جيشاً ثانياً بقيادة أبي سعيد بن ماكولا ففشل أيضاً . وقوى أمر أبي العباس فخرج من البصرة بجيشه قاصداً البطيحة وبعد حروب استولى على أكثرها فاضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد إلى البصرة .

وكان بهاء الدولة فى تلك الأثناء مقيماً فى الأهواز فلما بلغته قوة أبي العباس واستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فأحضر عنده عميد الجيوش (أو عميد العراق) أبا على بن جعفر المعروف بأستاذ هرمز وكان نائبه ببغداد فجهز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال أبي العباس ففشل أبو على ثم جهز بهاء الدولة جيشاً أخر فاستمرت الحروب بين جيوش بهاء الدولة وبين أبي العباس مدة حتى أضطر بهاء الدولة إلى المسير بنفسه فسار بخمسة عشر ألف مقاتل فأندحر جيشه وعاد بالفشل وذلك فى سنة ٣٩٦ هـ فطمع أبو العباس ببهاء الدولة فحمل عليه بجيشه وهو يومئذ بالأهواز فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالفشل وعلى أثر تلك الهزيمة زحف بهاء الدولة بجيش كبير على البصرة فحاصرها أربعة أيام فأنتصر على أبي العباس فقتله ودخل البصرة ظافراً فى سنة ٣٩٧ هـ وأقام بها أياماً ثم ولى عليها الوزير أبا غالب وعاد إلى الأهواز .

البصرة فى عهد
سلطان الدولة وجلال الدولة

هـدأت الأحوال بالبصرة بعد فتنة أبي العباس حتى مات بهاء الدولة الدولة فى سـنة ٤٣٠ هـ وتولى ابنه أبو شجاع الملقب سلطان الدولة فولى على البصرة أخاه أبا طاهر الملقب جلال الدولة .

ولـما تغـلب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة فى سنة ٤١١ هـ وأخذ العراق منه أقر على البصرة أخاه أبا طاهر فمكث على إمارة البصرة إلى أن مات مشرف الدولة ببغداد فى سنة ٤١٦ هـ فبويع بالملك أبو طاهر جلال الدولة ابن بهاء الدولة ولما كان قد استوطن البصرة أيام إمارته عليها أراد أن يتخذها مقراً للسـلطنة فطـلب جيش بغداد قدومه إليهم فأمتنع فخرج جيش بغداد عن طاعته فاضـطر إلى المسير إليهم واستخلف على البصرة ابنه أبو منصور الملك العزيز وفى أيـام إمـارة أبي منصور حدثت فتن عظيمة بين الديلم والأتراك فى البصرة فأنتصر الأتراك فأخرجوا الديلم منها فهجم الديلم على البصرة ونهبوا بعض القرى فخرج لقـتالهم أبـو منصور فطردهم وذلك فى سنة ٤١٩ هـ وعلى أثر ذلك أرسل أبو كالـيجار ابن سلطان الدولة المستقل بفارس جيشاً بقيادة أحد زعماء الديلم بختيار ابـن على لأخذ البصرة وبعد حروب استولى عليها عنوة وأنهزم أبو منصور فنهب الديلم أسواق المدينة وصادروا أموال تجارها ودان النهب سبعة أيام وقتل فى هذه الحادثـة مـن البصريين عدد غير قليل. فدخلت سنة ٤٢٠ هـ فولى أبو كاليجار على البصرة أبا منصور بن بختيار القائد ابن على .

وبـــلغ الخبر جلال الدولة فجهز جيشاً كبيراً وسيره بقيادة وزيره أبي علي ابـــن ماكولا في سنة ٤٢١ هـــ فسار أبو علي في أربعمائة سفينة مشحونة بالرجال ومعه عبد الله الشرابي فخرج لقتاله أمير البصرة أبو منصور بن بختيار وبعد حروب انكســـر جيشــــه وأنهـــزم هو وجيشه وتحصنوا بأبي الخصيب وشرعوا بالدفاع عن أنفسهم فتبعه أبو علي فدارت معركة عنيفة دامت أربع ساعات فأنجلت عن اندحار جيش جلال الدولة ووقوع قائده أبي علي أسيراً .

ولمـــا اتصل خبر الهزيمة بجلال الدولة جهز جيشاً ثانياً فأنتصر جيشه ودخل البصـــرة ظافراً في السنة نفسها ٤٢١ هـــ وعلى أثر ذلك جمع القائد بختيار جيشاً جديداً فحمل به على البصرة فدحرته جنود جلال الدولة وأسروه فقتلوه وبعد أيام حـــدث خلاف بين جنود جلال الدولة فتفرقوا فهجمت جيوش أبي كاليجار على البصـــرة فدخلتها في سنة ٤٢٢ هـــ فولى أبو كاليجار على البصرة ظهير الدين بن أبي القاسم فسكن الحال في البصرة حتى إذا ما كانت سنة ٤٢٤ هـــ حدث خلاف بـــين أمـــير البصرة ظهير الدين وبين سيدة أبي كاليجار فأغتنم تلك الفرصة جلال الدولـــة فســـير جيشاً بقيادة ابنه الملك العزيز فلما أقترب جيش جلال الدولة من البصرة انحاز أميرها إلى جلال الدولة وسلم المدينة إلى أبنه الملك العزيز على شرط أن يكون له كمساعد أو مشاور في تدبير شؤون البصرة .

ولم تمـــض أشهر على إمارة الملك العزيز على البصرة حتى قامت بينه وبين ظهـــير الدين فتنة أدت إلى حدوث قتال بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد المـــلك العزيز من البصرة فأنحاز ظهير الدين إلى أبي كاليجار وأعتذر إليه فأقره على عملـــه على أن يدفع إليه في كل سنة سبعين ألف دينار، فدخلت البصرة في ضمان ظهير الدين .

بقــي ظهير الدين ابن أبي القاسم مستقلاً بالبصرة أستقلالاً إدارياً إلى سنة ٤٣٠ هـ فأمتنع عن إرسال المال المقرر إرساله إلى أبي كاليجار وصار تارة يحتمى بجلال الدولة وأخرى يميل إلى أبي كاليجار حتى أضطر أبو كاليجار إلى إرسال جيش لقــتاله فســير جيشــاً بقيادة العادل أبي منصور بن مافته فى سنة ٤٣١ هـ وبعد معركتين حوصرت البصرة حصاراً شديداً حتى عجز ظهير الدين عن الدفاع وقتل من جيشه نحو الأربعة آلاف فأضطر إلى الهرب فوقع أسيراً وصودرت أمواله المنقولة والثابتة فأستولى أبي كاليجار على البصرة عنوة ودخلها ظافراً وبعد أيام قليلة سار إليها أبو كاليجار فأقام بها أياماً ثم أعطاها بالضمان إلى أبنه عز الملوك على أن يدفع إليــه فى كل سنة مائة ألف دينار وجعل له مساعداً وزيره أبا الفرج بن فسانجس وعاد هو إلى الأهواز.

بقيــت البصرة فى قبضة عز الملوك بن أبي كاليجار صاحب فارس والأهواز إلى أن تغــلب أبو كاليجار المذكور على الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأخــذ العراق منه فى سنة ٤٣٥ هـ ثم دخل بغداد سنة ٤٣٦ هـ فلقبه الخليفة بمحى الدين فتم أمره فى فارس والأهواز والعراق .

ومات أبو كاليجار ببغداد فى سنة ٤٤٠ هـ فتولى العراق ابنه أبو نصر المــلك الرحيم فعصى عليه أخوه عز الملوك وأستبد بالبصرة فى الوقت الذى كانت فيــه أحوال الدولة مضطربة جداً وكان البصريون يومئذ قد كرهوا أميرهم لسوء ســيرته معهم فتمنوا الخلاص منه على يد الملك الرحيم . فحمل الملك الرحيم على أخيه فالتقى الجيشان فى السفن فى دجلة فى سنة ٤٤٥ هـ فأندحر عز الملوك وعاد إلى البصــرة فتحصــن فيها فتبعة أخوه فلما أقترب منه ثار البصريون على أميرهم فطــردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم وأستقبلوه بالترحاب والسرور وذلك فى

سـنة ٤٤٦ هـ فأقام الملك بالبصرة أياماً ثم ولى عليها أبا الحرث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى وعاد إلى بغداد .

وكـانت الدولـة السلجوقية يوم ذاك قد قويت وفتح رجالها بلاداً كثيرة محاددة لشرقى العراق فى الوقت الذى كانت دولة بنى بويه قد أزدادت ضعفاً على ضعف وأنحل أمرها وسئم الناس حكمها وأصبحت عاجزة عن كل شيء . وكانت النتيجة أن طمع طغرك بك السلجوقى فى العراق فحمل على بغداد فأستولى عليها فى سنة ٤٤٧ هـ وأسر الملك الرحيم فأنقرضت الدولة البويهية من العراق بعد أن ملكته مائة وثلاثة عشر سنة . وقامت على أنقاضها دولة بنى سلجوق الأتراك .

البصرة فى عهد السلجوقيين

فتح طغرك بك السلجوقى بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ كما ذكرنا فدانت له المـدن العراقية فى عهد الخليفة القائم بأمر الله فوجه الولاة إلى البلاد وولى فى السنة نفسـها عـلى البصرة هزار أسب بن تكير بن عياض على أن يدفع له فى كل سنة ثلاثمائة وستين ألف دينار (دينار ذلك العهد) فدخلت البصرة فى ضمان هذا الأمير التركى وهو أول وال سلجوقى عليها . وفى أيامه ثارت القبائل النازلة بين البصرة وواسط على الحكومة الجديدة فأخضعهم هذا الأمير بالسيف .

وبقى هزار أسب على البصرة وتوابعها إلى سنة ٤٥١ هـ فوجهت ولاية البصر بالضمان إلى الأغر سابور بن المظفر . وتولى طغرك بك سنة ٤٥٥ هـ فتولى المـلك ابـن أخيه ألب أرسـلان بن داود ثم تولى الملك بعده ابنه ملكشاه فى سنة

٤٦٥ هـ فأعطيت البصرة بالضمان إلى علان اليهودى فى سنة ٤٦٩ هـ لما لعلان من المنزلة الرفيعة عند الوزير نظام الملك الذى كان قابضاً على زمام المملكة بيد من حديد فجبى علان الأعشار والرسوم والضرائب من البصرة وعمالها نحو ثلاث سنوات فمات فى أواخر سنة ٤٧١ هـ بالبصرة . ومما يدل على علو منزلته فى الدولة يوم ذاك أن السلطان ملكشاه لما بلغه موته حزن عليه وأنقطع عن الركب ثلاثة أيام . ولما ماتت أم علان قبله بأشهر مشى خلف جنازتها جميع البصريين إلا القاضى فبلغ ذلك الوزير نظام الملك فعد عمل القاضى إهانة للحكومة فأغرمه ألف دينار وهى غرامة غريبة فى بابها.

وعلى أثر موت علان اليهودى أعطيت البصرة بالضمان إلى خمارتكين التركى فى أوائل سنة ٤٧٢ هـ على أن يدفع إلى خزينة الدولة السلجوقية فى كل عام مائة ألف دينار ومائة حصان .

وفى أيام ملكشاه توفى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد فى سنة ٤٦٧ هـ فبويع بالخلافة للمقتدى بالله .

غزو الأعراب البصرة واستيلاهم عليها

كـــانت البصـــرة قد أعطيت بالضمان إلى العميد بن عصمة فى سنة ٤٧٥ هـــ بعـــد نسخ ضمان خمارتكين فلما قامت الحروب بين السلجوقيين وضعفت الدولـــة طمع الأعراب بالبصرة فغزاها بنو عامر النازلين فى الأحساء فحملوا عليها بعشـــرة آلاف فـــارس فأحـــاطوا بها فى سنة ٤٨٣ هـــ فى عهد السلطان ملكشاه فخـــرج أميرها العميد فقاتلهم فلما لم يكن عنده جيش يكفى لصدهم أنسحب إلى نهـــر معقل فبلغ البصريين أنسحابه فخافوا على أنفسهم من القتل فتركوا أوطانهم وفـــروا إلى بـــلاد أخـــرى فدخلت بنو عامر البصرة فنهبوا وخربوا وأحرقوا عدة مواضع من جملتها مخزن الكتب التى أوقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان فيه على ما يروى عشرات الألوف من الكتب الثمينة وخزانة الكتب التى أوقفهـــا أبو الفرج بن أبى البقاء وكان فيها على ما قيل خمسون ألف كتاب. وخربوا أوقاف البصـــرة . وظلوا ينهبون المدينة نهاراً ثم يخرجون منها ليلاً فينهبها أصحـــــــاب ابن العميد ليلاً . وبقى هذا الحال المريع أياماً .

ولمـــا بلغ خبر هذة الغارة إلى بغداد وجهت الحكومة سيف الدولة إلى طرد الأعـــراب مـــن البصرة بأمر من السلطان ملكشاه فسار سيف الدولة بجيش كبير فوجدهـــم قد خرجوا منها وفروا إلى جزيرة العرب . فمات السلطان ملكشاه فى ســـنة ٤٨٥ هـــ فقامت الحروب بين الأسرة المالكة حتى تم الأمر فى السنة نفسها على السلطان بركيارق فوجهت إمارة البصرة فى سنة ٤٩٣ هـــ إلى الأمير قمباج.

وفى أيـام بركيارق توفى الخليفة المقتدى بالله ببغداد فجأة فى سنة ٤٨٧ هـ فبويع بالخلافة لابنه المستظهر بالله . وكانت أيام بركيارق كلها فتن وحروب .

استبداد إسماعيل بن سلانجق بالبصرة وعصيانه فيها

بقـى الأمـير قمـاج التركى على البصرة أشهراً ثم أستخلف عليها نائباً إسماعيل بن سلانجق التركى فأستقام أمره فيها سنتين ثم طمع بالملك فعصى وأستقل فى الوقـت الـذى كانت فيه الأضطرابات الداخلية متوالية فى المملكة وقد استبد أكـثر العمال . فأوعزت الحكومة إلى مهذب الدولة بن أبى الخير صاحب البطيحة بقـتال إسمـاعيل وطرده من البصرة فسار مهذب الدولة ومعه معقل بن صدقة بن الحسـين الأسدى صاحب الجزيرة الدبيسية يقود كل منهما جيشه فالتقوا بإسماعيل فقتل معقـل فأنفل جيشه فأضطر مهذب الدولة إلى الرجوع وذلك فى سـنة ٤٩٤ هـ .

وقوى أمر إسماعيل وكثرت جموعه واتسعت إمارته وأزداد قوة بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلاجقة فخفف الضرائب والرسوم عن أهل البصرة ليجلب قـلوبهم إليـه ثم راسل سيف الدولة وأظهر له أنه فى طاعته ثم حاول أخذ واسط ففشـل وفى أيامه حمل فى سنة ٤٩٥ هـ على البصرة أبو سعيد بن مضر صاحب عمـان فوصـلت جيوشـه شـط العرب فقطعوا الطريق وقتلوا ونهبوا ثم جرت مراسـلات فى الصلح بين أبى سعيد وبين إسماعيل فلم يتم الصلح فحمل أبو سعيد

على إسماعيل فأقتتل الجيشان فأنكسرت عساكر إسماعيل فأضطر إلى طلب الصلح فتوسط بينهما وكيل الخليفة فتم الصلح على يده .

فلما أستقر الأمر للسلطان محمد السلجوقى أراد أن يرسل إلى البصرة مقطعاً يأخذها من إسماعيل فخاطب فى ذلك سيف الدولة صاحب الحلة حتى أقرت البصرة على سيف الدولة فوجه السلطان عميداً إليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان[١] هناك فمنعه إسماعيل ولم يمكنه من عمله . فبلغ السلطان محمد ذلك وكان قد تولى السلطنة بعد موت أخيه بركيارق فى سنة ٤٩٨ هـ فأمر سيف الدولة بطرد إسماعيل من البصرة .

---

(١) وكانت الحكومة السلجوقية ترسل إلى كل بلد عميد يتولى ما يتعلق بالسلطان كما كان الخليفة يرسل وكيلاً عنه ليقوم بما يتعلق بديوانه فى تلك البلد . فكانت المدن إذا أعطيت بالضمان يرسل السلطان عميداً ويرسل الخليفة وكيلاً أو نائباً .

إمارة سيف الدولة
على البصرة

تهيـــأ سيف الدولة لقتال إسماعيل ولكنه أشتغل بقتال منكبرس الذى خرج عـــلى الســـلطان وقصد واسطاً. فأخر مسيره إلى البصرة ولكنه أرسل إلى إسماعيل عـــاملاً من قبله فقبض عليه إسماعيل وأعتقله . فوصل الخبر إلى سيف الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه وقصد البصرة فى سنة ٤٩٩ هـــ .

ولما بلغ إسماعيل قدوم سيف الدولة بالجيوش أستعد للحرب وحصن المدينة وقلاعها وأعتقل الوجوه من العباسيين والعلويين وغيرهم من الأعيان فحاصر سيف الدولـــة المدينة براً ونهراً وكان جيشه عشرين ألف مقاتل على ما نقل فخرج لقتاله إسماعيل ففشل فتحصن بالمدينة وأخذ بالدفاع فدام الحصار أشهراً ثم هجمت جنود ســـيف الدولة هجمة نهائية فدخلت المدينة فى سنة ٥٠٠ هـــ وأنتهت هذه الحادثة بانتصار سيف الدولة ودخوله ظافراً . فأنهزم إسماعيل إلى قلعة الجزيرة فأمتنع بها ثم طلب الأمان فأمنه سيف الدولة فسار إلى فارس .

وممـــا يؤســـف عليه أن جيش سيف الدولة حينما دخل البصرة فاتحاً نهب بعض المحلات . وعلى ما نقله بعضهم أنهم أستمروا على النهب ثلاثة أيام ثم نودى بالأمان .



ومكث سيف الدولة فى البصرة أياماً نظم فيها شؤون المدينة ثم أستتاب عنه مملوكاً كان لجده دبيس أسمه التونتاش (ويروى نونتاش والنوشاش) وجعل معه مائة وعشرين فارساً وسار هو إلى مقره الحلة .

مضت ثلاثة أشهر على نيابه أنتونتاش على البصرة فأجتمعت ربيعة وأنضم إليها المنتفكيون ثم قبائل أخرى من الإعراب وأتفقوا على غزو البصرة وكانوا على ما يروى خمسة آلاف مقاتل فهجموا على البصرة عنوة فى سنة ٥٠٠ هـ . فقتلوا ونهبوا أكثر الأسواق والدور وأحرقوا بعضها وخربوا كثيراً من الدور حتى قال بعضهم : خرب فى هذه الحادثة نحو الستة آلاف دار وعشرة آلاف دكان منها حرقاً ومنها هدماً، ودام النهب والسلب شهراً ثم خرجوا بعد أن أنهزم أكثر البصريين من أوطانهم وتفرقوا فى البلاد .

وبلغ سيف الدولة خبر الإعراب على البصرة وأسر نائبه فأرسل جيشاً لطردهم فوصل جيشه وقد خرج القوم من المدينة وفارقوها .



إمارة الأمير أقسنقر البخارى على البصرة

عندما أتصل بالسلطان محمد السلجوقى خبر هجوم الإعراب على البصرة وما فعلوه فيها من الأفعال المنكرة من نهب وقتل وتخريب انتزاع إمارتها من سيف الدولة فى سنة ٥٠٢ هـ وولى عليها الأمير آقسنقر البخارى وجعله شحنة وعميداً[١] فأستقام أمره فيها فعاد كثير من البصريين إلى أوطانهم فأقام هذا الأمير إلى سنة ٥٠٥ هـ ثم استخلف عليها سنقر البيانى وسار هو إلى فارس. فأحسن سنقر السياسة والتدبير وسار سيرة مرضية فى الآهلين فبقيت البصرة تحت حكمه بالنيابة عن الأمير آقسنقر حتى مات السلطان محمد ببغداد فى سنة ٥١١ هـ وجلس مكانه ابنه السلطان محمود فأقره على عمله . وفى أيامه مات الخليفة المستظهر بالله فى سنة ٥١١ هـ فبويع بالخلافة لابنه المسترشد بالله .

---

(١) الشحنة هو الذى يتولى جباية الأموال كالضرائب والأعشار وغير ذلك . والعميد هو الذى يتولى ما يتعلق بالسلطان من الأمور السياسية والإدارية والأحكام . وكان السلطان نسخ الضمان وسلم شؤون البصرة كلها إلى هذا الأمير .

استيلاء ابن سكبان
على البصرة

بقـــى سنقر البيانى حاكماً على البصرة بالنيابة عن الأمير آقسنقر البخارى إلى سنة ٥١٣ هــ فثار أحد أمراء الجيش أسمه غزغلى وهجم على الحجاج وكان أمير الحج يومئذ على بن سكبان حتى دخل المدينة فى أثرهم فوجد فتنة جديدة قامت بين الحـــاكم وبين رؤساء الجيش فأغتنم فرصة تلك الفتنة فتغلب على الولاية فى السنة نفسها ٥١٣ هــ .

ولـــا اســـتتب أمر على بن سكبان بالبصرة كتب إلى الأمير آقسنقر البخارى يعرض له الطاعة ويطلب منه توجية النيابة إليه ، فلم يجبه الأمير إلى ما طلب فأستبد ابـــن سكبان بالأمر ولكنه سار سيرة حسنة فى البصريين وجاملهم وولاهم وبقى مستقلاً فيها على سنة ٥١٤ هــ .

دخلت سنة ٥١٤ هــ فسير السلطان محمود جيشاً كبيراً بقيادة الأمير آقسنقر الـــبخارى لطرد على بن سكبان من البصرة فألتقى الأميران وتقاتل الجيشان وبعد حروب أستولى الأمير آقسنقر على البصرة عنوة فى سنة ٥١٥ هــ ودخلها ظافراً وأنهـــزم ابـــن سكبان فأستقام أمر الأمير فى هذه المدينة مدة حتى إذا ما كانت سنة ٥١٧ هــ ثار صاحب الحلة دبيس بن سيف الدولة وخرج على السلطان والخليفة معاً فحاربته حكومة بغداد حتى تمزق جمعه فالتجأ بقبائل المنتفك فأغراهم على غزو البصـــرة وأخذها فوافقوا وساروا معه حتى هجموا عليها ودخلوها فنهبوا أسواقها

وقتلوا رئيس جيشها فبلغ الخبر حكومة بغداد فسيرت لقتاله جيشاً بقيادة البرسقى فأنهزم دبيس ومن معه ودخلوا البادية فدخل البرسقى البصرة بدون قتال فتولى شؤونها، فبقيت البصرة تحت حكم السلاطين السلاجقة يحكمها أمراءهم إلى سنة ٥٤٧ هـ ثم عادت إلى الخلفاء وسيأتى ذكر ذلك .

رجوع البصرة إلى الخلافة العباسية

كانت البصرة قد خرجت من سلطة الخلفاء منذ تسلط على الخلافة بنو بويه وأسس معز الدولة البويهى دولته فى العراق فى سنة ٣٣٤ هـ فى عهد الخليفة المستكفى بالله وظلت كذلك حتى أنقرضت الدولة البويهية وقامت على انقاضها الدولة السلجوقية فى سنة ٤٤٧ هـ فى عهد الخليفة القائم بأمر الله وتوالى حكم سلاطين السلاجقة على العراق وليس للخلفاء غير الخطبة والتوقيع على المناشير حتى مات السلطان محمود السلجوقى فى سنة ٥٢٥ هـ وجلس ابنه السلطان داود فثار عليه عمه السلطان مسعود فأستمرت بينها الحروب إلى تغلب على الأمر السلطان مسعود فى سنة ٥٢٦ هـ فأغتنم الخليفة المسترشد بالله فرصة تلك الحروب فأرجع أكثر حقوق الخلافة المغصوبة وألف له جيشاً فى بغداد وأصبح مطاعاً نفاذ الكلمة فى أكثر شؤون البلاد العراقية وقاتل الخارجين عليه حتى خافه السلاجقة أنفسهم. وظل يجتهد فى أرجاع جميع حقوق الخلافة مغتنماً فرصة ضعف

الدولــة السلجوقية وبعد رجالها عنه وأنشغالهم فى الحروب التى دامت بينهم أعواماً طــوالاً. ولكـــنه أغتر بقوته فحارب السلطان مسعود وحمل عليه إلى همذان وبعد حــروب أنحاز أكثر قواده الأتراك إلى السلطان وغدروا به فأنخذل ووقع أسيراً فى قبضة السلطان مسعود فخدعه بعقد اتفاقية فأوعز إلى الأتراك بقتله فقتلوه غدراً فى أواخر سنة ٥٢٩ هـ بظاهر مراغة وعادت سلطة السلاجقة على العراق .

فتولى الخلافة بعد المسترشد ابنه الراشد بالله ثم خلع فى سنة ٥٣٠ هـــ فتولاها المقـــتفى لأمر الله فسعى فى إعادة حقوقه حتى إذا ما توفى السلطان مسعود فى سنة ٥٤٧ هـــ وكثرت الفتن والحروب بين آل سلجوق وانفرد الخليفة المقتفى بالحكم فى العــراق وزال نفــوذ الســلاجقة وأصبح الأمر كله للخليفة لا يشار فيه أحد وعادت البصرة إلى الخلفاء يولون عليها من شاؤوا. وهو الذى ولى على البصـرة فى ســنة ٥٥٤ هـــ كمشتكين التركى وعزل عنها الشيخ معروف رئيس المنتفق الذى تولى إمارتها منذ سنة ٥٣٢ هـــ .

وتـــوفى الخليفة المقتفى فى سنة ٥٥٥ هـــ فبويع لابنه المستنجد بالله فأقر على البصرة كمشتكين . وسار هذا الخليفة سيرة أبيه فى الحزم والعزم وضبط الأمور وفى أيامه أستولى على ابن شنكا على البصرة .

استيلاء ابن شنكا على البصرة

فى الوقت الذى كان فيه كمشتكين التركى على البصرة كان ابن شنكا (أو ابن شنكاه) على مدينة واسط فى عهد الخليفة المستنجد بالله . وكان كمشتكين قد اشتغل بجمع الأموال وأهمل أمر المدينة وغفل عن الطامعين بإمارته فطمع به ابن شنكا فحمل عليه فى سنة ٥٦١ هـ فنهب القرى والضياع ثم رجع وأعاد الكرة فى سنة ٥٦٢ هـ فأستولى على البصرة عنوة بعد أن نهب وخرب أكثر المواضع . وأتصل خبره بالخليفة المستنجد فأرسل لطرده جيشاً بقيادة عميد الدين فى سنة ٥٦٣ هـ فأنهزم ابن شنكا ودخلت جيوش الخليفة ظافرة .

ومات الخليقة المستنجد فى سنة ٥٦٦ هـ فتولى الخلافة المستضىء بأمر الله فتوفى سنة ٥٧٥ هـ وجلس مكانه الناصر لدين الله وكانت البصرة تحت حكم الخلافة إلى سنة ٥٧٧ هـ فأقطع الخليفة الناصر لدين الله ولاية البصرة إلى أحد مماليكه المعروف بالأمير طغرك بك فمكث هذا الأمير فى البصرة إلى سنة ٥٨٠ هـ فولى نائباً عنه محمد بن إسماعيل .

غزوة العامريين على البصرة

وفى أيامــه :حمل على البصرة بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة العامرى وساروا إليهـا مـن الإحســاء فى سنة ٥٨٨ هـ فلما أقتربوا منها خرج لقتالهم محمد بن إسمــاعيل فقاتـلهم طول النهار فلما جن الليل ثلم بنو عامر سور المدينة ودخلوها عــلى حين غفلة من أهلها فقتلوا ونهبوا فأنهزم محمد بن إسماعيل . وكان قد كتب قــبل وصول بنى عامر إلى رؤساء المنتفق وخفاجة يطلب منهم النجدة فوصل منهم جمــع كبير بعد دخول الغزوات بيوم فبلغ ذلك بنى عامر فخرجوا مسرعين فالتقوا بالمنـــتفقك وخفاجة بضواحى المدينة وبعد قتال انتصر بنو عامر فعادوا إلى البصرة وعــاد النهب والسلب مرة أخرى فأضطر البصريون إلى ترك بلدهم فأنهزموا منها بأنفســهم . فبلغ بنى عامر خبر تجهيز الجيوش من بغداد لقتالهم فخرجوا من المدينة بعد بضعة أيام . فعاد البصريون إلى أوطانهم وذلك فى السنة نفسها ٥٨٨ هـ .



البصرة فى أواخـــــــر عهد العباسيين

كـــانت ولايـــة البصرة قد وجهها الخليفة الناصر لدين الله إلى الأمير ملتكين الـــتركى فى ســـنة ٦١٨ هــ فأستتب أمره فيها إلى سنة ٦٢٢ هــ فى السنة التى تـــوفى فيهـــا الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله فحمل على البصرة جـــلال الديـــن بن خوارزم شاه بجيش كبير فخرج لقتاله الأمير ملتكين فأستمرت بينهما الحروب أكثر من شهر حتى وصل المدد من بغداد فأنهزم جلال الدين .

وظـــلت البصـــرة فى قبضـــة الخلافة العباسية يتولاها الولاة حتى مات الخليفة الظاهـــر فى سنة ٦٢٣ هــ وجلس مكانه المستنصر بالله فمات فى سنة ٦٤١ هــ فـــتولى الخلافـــة المستعصم بالله فلما حمل هولاكو بجيش المغول على بغداد وقرض الدولـــة العباســـية فى سنة ٦٥٦ هــ واستولى على العراق كله دخلت البصرة فى حكمه .

الدولة الايلخانية المغولية
فى البصرة
أو خراب البصرة القديمة

كانت البصرة القديمة حينما استولى هولاكو على العراق فى سنة ٦٥٦ هـ وقرض الدولة العباسية وأسس الدولة الايلخانية قد خربت من توالى الفتن والحروب وهجمات الإعراب وانهزم أهلها إلى بلاد أخرى حتى إليها حاكماً ولكنها كانت فوضى حتى مات هولاكو فى سنة ٦٦٣ هـ وتولى الملك ابنه أبا قاخان . وبقيت تحت حكم ولاة بغداد يولون عليها من شاؤا فى عهد الملك تاكور دار أو أحمد الذى تولى فى سنة ٦٨١ هـ وأيام أرغون خان المتولى فى سنة ٦٨٣ هـ وأيام كيخا تو خان سنة ٦٩٠ هـ وبايدرخان سنة ٦٩٤ هـ وغازان سنة ٦٩٥ هـ فتم خراب البصرة القديمة فى عهده فى سنة ٧٠١ هـ فى الوقت الذى كانت فيه الحروب مستمرة بين آلا هولاكو والفتن على ساق وقدم . فقامت مكان البصرة القديمة البصرة الجديدة التى سنبحث عن كيفية تأسيسها وما جرى فيها إلى آخر أيام الدولة العثمانية التركية .

تتمـــــة

لمــا كــانت البصرة باب العراق ومركزاً وسطاً بين سورية والحجاز ونجد وفــارس وغيرهــا أهــتم بها الخلفاء الراشدون حتى زهت فى أول عهدها بأعاظم الــرجال وصارت فى القرون الأولى من بنائها دار العلوم والفنون ومجتمع المجتهدين ومركــز الآداب ومهد الحضارة والتجارة والعمران ومعدن الثروة وأخذت تتوسع عامــاً فعاماً خصوصاً فى أيام بنى أمية فأنهم أهتموا بها أهتماماً عظيماً قاصدين بذلك تضــعيف أمر يثرب (المدينة) مقر العلويين الطامحين بالخلافة . فتهافت إليها الناس من كل الجهات فأزدحمت بألوف من التجار وأهل الصناعة والمعارف على أختلاف ملــلهم وتحللهم وطار صيتها فى الآفاق حتى عظم شأنها وأصبحت من أعظم بلاد الإســلام فى عهدهــم وأشتهرت بالسعة والعمران وكثرة الخيرات . وظل السعد يخدمها حتى سماها العرب خزانة العراب وقبة الإسلام كما كانت الكوفة يوم ذاك تسمى قبة الإسلام .

وأزدادت هذه المدينة عمراناً وثروة وزهواً وشهرة فى العصر العباسى الأول حــتى صــارت فى ذلــك العهد من أكبر المدن الشرقية وسكنها كبار الرجال من العباسيين والعلويين ورجال العلم والأدب وتهافت إليها العلماء والأدباء والشعراء والفلاســفة والتجار وأرباب الصناعة وغيرهم فأبتنوا فيها القصور الشامخة والمبانى الفخمــة وأنشــأوا الحدائــق الغناء والميادين الواسعة والبرك والبساتين وحفروا عشرات الألوف من الأنهار وكثرت فيها المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية وأمتدت تجــارة أهلها إلى الهند والصين شرقاً وأقصى بلاد المغرب غرباً وإلى الحبشة جنوباً .

وكــانت السفن التجارية التي ترسوا فى ميناها وتحمل أصناف التجارة من الأقمشة والحــبوب المختلفة والتمور وغيرها تعد بعشرات الألوف . وبلغت ضرائب تلك الســفن مبلغاً عظيماً منذ عهد الأمويين إلى أواخر العصر العباسى الزاهر ثم نقصت حيــنما ضــعفت دولة بنى العباس حتى أصبحت (ضريبة السفن التجارية) فى أيام الخليفة المقتدر بالله فى سنة ٣٠٦ هــ (٥٧٥ و ٢٢ ديناراً سنوياً) .

أمــا بساتينها فكانت ممتدة إلى عبادان عند الخليج الفارسى تتخللها ألوف الأنهــار ومــئات القصور والحدائق المزينة بأنواع الرياحين والأزهار حتى اشتهرت بالمــناظر الأنيقة والميادين العجيبة والبرك الفسيحة والفواكة البديعة والمبانى الفخمة والقصور الشامخة وكثرت الخيرات .

أمــا جوامعها فكانت كثيرة جداً وأشهرها الجامع المعروف يوم ذاك بمسجد الإمــام عــلى الذى كان فى وسطها وكان من أحسن المساجد وأنظمها وأفسحها وأحكمها وكان صحنه مفروشاً بالحصباء الحمراء التى يؤتى بها من وادى السباع[١] وكــان عليه بناء عالياً مثل الحصن . وكان قد علق على جداره الخارج ألوف من حــلقات الحديــد لــربط خيل من يدخل الجامع من أشراف العرب وزعمائهم والوارديــن من النواحى ، حتى بالغ بعضهم فقال كانت تلك الحلقات سبعين ألف حلقة ولكنها مبالغة غير معقولة . وكان فى هذا الجامع القرآن الذى كان عثمان بن عفان يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم فى الورقة التى فيها الآية : ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ .

وبدأ انحطاط هذه المدينة منذ ضعفت الدولة العباسية فظلت تنحط سنة فسنة وتــزداد انحطاطــاً بســبب توالى الفتن والحروب فيها وظل الأمر كذلك فى عهد

---

(١) وادى السباع مشهور وهو على ستة أميال من البصرة .

البويهيين وأيام السلجوقيين وفى العهد العباسى الأخير حتى أصبحت فى القرن السابع للهجرة لا تزيد على ثلاث محلات كبار (محلة هذيل ومحلة بنى حرام ومحلة العجم) .

ثم توالت عليها النكبات وأغار عليها الخوارج حتى أضطر من بقى من أهلها إلى الهجرة منها فتركوها بالتدريج فخربت عن آخرها وتم خرابها فى سنة ٧٠١ هـ .

ومن أسباب خرابها ظلم الولات واستبدادهم فيها وهجمات الأعداء عليها ووخامة الهواء الحاصلة من تعفن المياة المحيطة بها المنبعثة من إنكسار سد الجزائر وتفشى الطواعين .

وقد أنجبت البصرة القديمة عدداً لا يحصى من العلماء والأدباء والخطباء والكتاب والمحدثين والمؤلفين والشعراء ورجال الدين واللغة والنحو والفلسفة . وفى أزمان مختلفة منذ أسست على آخر أيام العباسيين خصوصاً فى عهد الأمويين وفى العصر العباسى الزاهر .

ومن مشاهيرها من رجال العلم والأدب : ـ

- أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ .
- والحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ومحمد بن سيرين المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- والفرزدق الشاعر المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- والمهلب بن أبى صفرة القائد الكبير المتوفى سنة ٨٣ هـ .
- وابن جريح المتوفى سنة ١٥٥ هـ .
- والخليل بن أحمد النحوى المتوفى سنة ١٦٠ هـ .

- وبشار بن برد الشاعر المتوفى سنة ١٦٨ هـ .
- وشبيب بن شيبة التميمي المتوفى سنة ١٦٥ هـ .
- وعبد الله بن المقفع المقتول سنة ١٤٢ هـ .
- وأبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ١٩٣ هـ .
- وأبو فيد مؤرج السدوسى المتوفى سنة ١٩٥ هـ .
- وسيبويه النحوى المتوفى سنة ١٨٠ هـ .
- والأخفش المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- وعبد الله بن داود الحريرى المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- والأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ .
- وإبراهيم بن سيار المتوفى سنة ٢٢١ هـ .
- وأبو عثمان الجاحظ المتوفى سنة ٢٢٥ هـ .
- وأبو الهذيل محمد بن العلاف المتوفى سنة ٢٢٦ هـ .
- وأبو على الضحاك الشاعر الخليع المتوفى سنة ٢٥٠ هـ .
- وأبو داود المحدث المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
- وأبو بكر العبدى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
- وأبو القاسم نصر الخبزارزى الشاعر المتوفى سنة ٣١٧ هـ .
- وأبو الحسن على الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .
- وأبو يعقوب يوسف اللغوى المتوفى سنة ٤٢٣ هـ .
- وأبوعبد الله بن الشباس الذى أدعى الألوهية المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.
- وأبو محمد القاسم الحريرى المتوفى سنة ٥١٣ هـ .

وغـــير هؤلاء كثيرون كحماد والسيد الحميرى وخلف الأحمر ويونس بن حبيب والوزير أحمد بن عمار وزير المعتصم وأبو زيد الأنصارى ويزيد بن المهلب وهـــارون بن موسى اليهودى وأبو الحسين محمد المعروف بابن لنكك الشاعر وابن إســحق الحضرمى وعيسى بن عمر الثقفى وميمون الأقرن وأبو الحسن النضر بن شميـــل التمـــيمى المازنى والحسين بن حمدان مؤسس الديانة النصيرية وعلى بن محمد القيســى الخـــارجى وأبو محمد عبد الله الأكفانى وأخوان الصفا وهم زيد بن رفاعة وأبو سليمان محمد بن مشعر البستى المعروف بالمقدسى وأبو الحسن على بن هارون الريحانى وأبو أحمد المهرجانى والعوفى .

وغيرهم ممن لو ذكرنا أسمائهم وتراجمهم لاحتجنا إلى تنميق كتاب كبير .

أما الذين ماتوا بالبصرة ودفنوا فيها من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمـــل فهم عداً ما ذكرنا أسمائهم كثيرون أيضاً فمن هؤلاء من الصحابة طلحة بن عـــبيد الله والـــزبير بن العوام وأبى بكرة وعتبة وغيرهم ممن استشهدوا يوم الجمل وكانوا كثيرين . ومن التابعين محمد بن واسع وعتبة الغلام ومالك بن دينار وسهل ابن عبد الله التسترى (والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وحماد) .

وفيهـــا مـــاتت حليمة السعيدية أم النبى صلى الله عليه وسلم فى الرضاعة . وعلى ستة أميال من البصرة قرب وادى السباع دفن أنس بن مالك .

الفصل الثانى

البصرة الحديثة

ذكرنا قبل هذا فى محله أن الخليفة المعتمد على الله كان قد سير أخاه طلحة الملقب بالموفق بالله بجيش كبير إلى البصرة فى سنة ٢٦١ هـ لقتال على بن محمد القيسى صاحب الزنوج الذى أشغل الدولة العباسية بالحروب أعواماً فلما وصل الموفق البصرة ورأى صاحب الزنوج قد ابتنى بالقرب من البصرة مدينة كبيرة وحصنها بالأسوار والأبراج والعدد والعدد وأتخذها مقراً للحركات الحربية ابتنى الموفق مدينة صغيرة على نهر الابلة أو على شط العرب تبعد عن البصرة القديمة بنحو ٢٨ ألف قدم (فوت) إلى الشمال الشرقى (أو تبعد عن القديمة بنحو ساعتين) لحسن موقعها الجغرافى وجعلها مركزاً عاماً لجيشة ومقراً للحركات الحربية فعرفت بالموفقية نسبة إليه فلما انتصر انتصاراً نهائياً على صاحب الزنوج وقتله فى سنة ٢٧١ هـ بقيت هذه المدينة عامرة ثم سميت على توالى الأعوام باسم البصيرة (تصغير البصرة) وصارت منتزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء فأبتنوا فيها القصور والمنازل حتى توسعت وزادت عمارتها على توالى الأيام وأخذ البصريون يهاجرون إليها رويداً رويداً فما تم خراب البصرة القديمة إلا وصارت هذه مدينة كبيرة وسميت البصرة واندس أسم الموفقية وأسم البصيرة وقامت مقام القديمة فى سنة ٧٠١ هـ فى عهد السلطان غازان أحد ملوك الدولة الإيلخانية التى أسسها

هولاكو المغولى فى العراق بعد دولة بنى العباس فى سنة ٦٥٦ هـ أعنى أنها قامت مقام القديمة فى أوائل القرن الثامن للهجرة الموافق لأوائل القرن الرابع عشر الميلادى .

البصرة الحديثة فى عهد الإيلخانيين

كانت البصرة الحديثة فى عهد الملك غازان أوقازان الإيلخانى المغولى تابعة لبغداد ترسل إليها الحكام من قبل الحاكم العام المقيم ببغداد وظلت على تلك الحال حتى مات هذا السلطان فى سنة ٧٠٣ هـ وتولى الملك ابنه السلطان خدابنده محمد ثم تولى بعده ابنه السلطان أبو سعيد بها درخان فى سنة ٧١٥ هـ وفى أيامه فى سنة ٧٢٥ هـ كان على البصرة أميراً ركن الدين الفارسى الثوريزى . فلما مات أبو سعيد هذا فى سنة ٧٣٦ هـ وتولى السلطنة أربا غارون أو ارباخان ثار حاكم العراق ببغداد على بادشاه فنادى بسلطنة موسى خان أحد أفراد الأسرة المالكة فقامت الفتن والحروب بين التتريين فتغلب على بعض البلاد الفراتية المماليك ملوك مصر والشام وتغلبت قبائل العرب على البصرة والكوفة وعلى أكثر البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق. وانتهت فتنة التتريين بقتل أر باغاوون وصار الملك إلى موسى خان فقتل بعد بضعة أشهر فعادت الحروب بين أفراد العائلة المالكة وبقيت البلاد العراقية فوضى فحمل الشيخ حسن الكبير الجلائرى التترى بجيش جرار وكان أميراً على التتر الرحل المبثوثين فى آسيا الصغرى فالتقى بحاكم العراق موسى خان وبعد حروب انتصر عليه وقتله ثم سار إلى العراق فاستولى عليه فى سنة ٧٣٨ هـ وأسس الدولة الجلائرية فى العراق .

البصرة فى أيام الدولة الجلائرية
وأيام تيمور لنك

بعد أن استقر أمر الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلائرية التترية فى العراق فى سنة ٧٣٨ هـ وجه الولاة إلى البلاد ومنها البصرة فبقيت هذه المدينة يحكمها رجاله إلى أن توفى فى سنة ٧٥٧ هـ وتولى العراق ابنه السلطان أويس ثم مات فى سنة ٧٧٦ هـ فأستقل بالعراق ابنه السلطان حسين فقتله أخوه السلطان أحمد فى سنة ٧٨٤هـ وجلس مكانه فقامت المعارك والحروب بين رجال الأسرة المالكة حتى ضعفت الدولة فى الوقت الذى كان فيه الفاتح المشهور تيمور لنك ملك التتر قد قوى أمره وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وخراسان وسجستان وأفغانستان وأذربيجان وغيرها حتى وجه نظره إلى العراق فحمل عليه فى سنة ٧٩٥ هـ فأنهزم السلطان أحمد لعدم قدرته على صده فأستولى تيمور لنك على بغداد أولاً ثم على بقية المدن العراقية فوجه الولاة إلى الأمصار وترك فى كل مدينة حامية وسار هو لفتح الهند .

وكان السلطان أحمد قد فر إلى مصر ملتجأ بسلطانها الملك الظاهر برقوق فجهز له جيشاً كبيراً وسيره معه إلى بغداد فلما أقترب منها انضمت إليه أكثر القبائل العراقية فحاصر بغداد فأضطر الحاكم الأمير مسعود البزاوى إلى الهزيمة منها فدخلها السلطان أحمد فى سنة ٧٩٧ هـ فعادت له أكثر المدن العراقية .

أما تيمور لنك فأنه بلغه ما قام به السلطان أحمد الجلائرى من استرجاع العراق فكر راجعاً فى سنة ٨٠٣ هـ وبعد حروب استولى على بغداد عنوة (مرة ثانية فى السنة نفسها) .

ومات تيمور لنك فى سنة ٨٠٨ هـ أثناء عودته من بلاد الصين فتولى الملك بعده حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور لنك فأغتنم الفرصة السلطان أحمد الجلائرى فعاد إلى العراق واستنفر القبائل العراقية فأنضم إليه خلق كثير وبعد معارك استرد بغداد فى السنة نفسها ثم استرد بقية المدن العراقية فأستقام أمره فى العراق .

ولم يكد السلطان أحمد يستريح من تيمور لنك ومن قام بعده حتى حدثت بينه وبين قره يوسف التركمانى صاحب ديار بكر وأذربيجان حروب فى سنة ٨١٣ هـ انتهت بقتل السلطان أحمد غدراً فى السنة نفسها فى جوار تبريز ثم أنفرضت دولة الجلائريين فى سنة ٨١٤ هـ وقامت على أنقاضها فى العراق دولة الخروق الأسود التركمانية [١] وكانت البصرة فى أيام الجلائريين كغيرها من بلاد الرافدين بحكمها الولاة المستبدون ولم يصلنا عنها خبر يستحق الذكر .

وأول من ملك العراق من ملوك دولة الخروف الأسود قرة يوسف ثم ولى على العراق ابنه الشاه محمود فى سنة ٨١٥ هـ فقتل فى سنة ٨١٧ هـ فتولى العراق أخوه الشاه محمد بن قره يوسف فقتل أيضاً فى سنة ٨٤١ هـ وصارت السلطنة إلى مير زاجهان شاه بن قره يوسف وتم أمره فى العراق وديار بكر وأذربيجان وفارس وكرمان فولى ف سنة ٨٦٧ هـ على العراق ابنه بير بداق غير أن الحروب بقيت بين رجال هذا البيت حتى ضعف أمرهم وأصبحت البلاد التى تحت حكمهم

---

(١) سميت دولة الخروق الأسود (قرة قويونلى) لأن ملوكها كانوا يرسمون على أعلامهم خروقاً أسوداً كما كانت دولة الخروق الأبيض ترسم على أعلامها خروقاً أيضاً .

ومنها البصرة فوضى تقريباً ولم تكد تلك الفتن تنتهى حتى طمع فى هذه الدولة حسن الطويل التركمانى مؤسس دولة الخروق الأبيض (أق قو يونلى) فى ديار بكر فقامت بينه وبين جهان شاه حروب دامت سنتين فأنتهت باستيلاء حسن الطويل (اوزون حسن) بن على بيك على قسم من بلاد هذه الدولة فى سنة ٨٧٢ هـ ثم عادت الحروب بين الدولتين فأنجلت عن انقراض هذه الدولة فى سنة ٨٧٤ هـ فقامت مكانها فى العراق دولة الخروف الأبيض . ولم يملك العراق من رجال دولة الخروف الأسود غير أربعة ملوك ولم يكن ملكهم فى هذا القطر أكثر من ستين سنة .

ولم يكن رجال دولة الخروف الأبيض أهلاً للملك بل كانوا كرجال الدولة التركمانية المنقرضة ومن أجل ذلك قامت بين أفراد الأسرة المالكة حروب عنيفة بعد موت حسن الطويل فى سنة ٨٨٣ هـ فقتل أكثرهم واستمرت الفتن والحروب حتى تولى أخرهم السلطان مراد بن يعقوب شاه فى الوقت الذى كانت فيه الدولة الصفوية الفارسية قد قوى أمرها وفتحت بلاداً كثيرة فحمل الشاه إسماعيل الصفوى على العراق فى سنة ٩١٤ هـ وأخذه من السلطان مراد بعدة حروب . ولم تكن مدة حكم دولة الخروف الأبيض فى العراق أكثر من أربعين سنة ولم يصلنا عن البصرة فى عهد هاتين الدولتين التركمايتين شىء يستحق الذكر ولا شك أنها كانت فى اضطراب كغيرها من المدن العراقية بسبب توالى الفتن والحروب منذ قامت الخروف الأسود إلى أن انقرضت دولة الخروف الأبيض هذه .

البصرة فى عهد
الدولة الصفوية الفارسية

كان الشاه إسماعيل الصفوى بن حيدر مؤسس الدولة الصفوية فى إيران قد فتح بلاداً كثيرة وأسس مملكة واسعة الأطراف وكان طامحاً فى العراق فلما قوى أمره ورأى أصحاب العراق قد انهكتهم الحروب الداخلية حمل عليه فى سنة ٩١٤ هـ كما تقدم وبعد حروب استولى على بغداد أولاً ثم على غيرها فدانت له أكثر بلاد الرافدين ولكنه لما أنشغل فى حروب خراسان حمل السلطان مراد بن يعقوب شاه على بغداد فى سنة ٩١٦ هـ فأستردها فأعاد الكرة الشاه إسماعيل فطرد السلطان مراد من العراق طرداً نهائياً وقرض دولة الخروق الأبيض التركمانية فى سنة ٩٢٠ هـ وولى على العراق حاكماً عاماً أحد رجاله المدعو إبراهيم خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الأمير على البلاد التابعة له رجالاً من خاصته ومنها البصرة .

وتوفى الشاه إسماعيل فى سنة ٩٣٠ هـ فتولى الملك ابنه الشاه طهماسب الأول وكان قاسى الحكم فولى على البلاد العراقية رجالاً قساة مثله فظلموا الناس حتى أضطر أكثر أهل البلاد إلى الهجرة من أوطانهم وعصت أكثر القبائل العراقية واستقلت بنفسها .

وتغلب في السنة نفسها ٩٣٠ هـ على بغداد الأمير ذو الفقار بن نخود سلطان [١] رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية وكان قبل ذلك مستولياً على أطراف لورستان فلما دانت له بغداد وبعض مدن الرافدين احتمى بالسلطان سليمان القانوني العثماني وأرسل إليه وفداً من بغداد لعرض الطاعة والدخول تحت سيادته وخطب له على المنابر وضرب السكة بأسمه . أما الشاه كهماسب فأنه لما بلغته أعمال ذي الفقار تريث حتى إذا ما كانت سنة ٩٣٦ هـ حمل على بغداد بجيشه فحاصرها ولكنه لما عجز عن أخذها بالقوة لحصانة أسوارها يوم ذاك ركن على الخداع (والحرب خدعة) فأغرا على بيك وأحمد بيك أخوي ذي الفقار وأطمعهما بالمناصب الرفيعة والمال فأنخدعا فأغتالا أخاهما وقتلاه غدراً وسلموا المدينة إلى الشاه في سنة ٩٣٦ هـ وعلى أثر سقوط بغداد سلمت أكثر المدن فولى الشاه على العراق حاكماً عاماً بكلو محمد خان وجعل مقره بغداد فولي هذا الأمير علي البصرة والجزائر قانصوبيك الفارسي وبقيت هذه المدينة وسائر المدن العراقية خاضعة للفرس حتى حمل السلطان سليمان القانوني على العراق ودخل بغداد فاتحاً في سنة ٩١٤ هـ .

---

(١) ويروى أنه كان أميراً على بغداد من قبل الشاه وقد وجهت إليه غمارتها في سنة ٩٣٤ هـ فخلع الشاه طهماسب بعد أشهر وأعلن استقلاله. وقيل وجهت إليه إمارتها في سنة ٩٣٠ هـ فأستقل فيها .

البصرة فى العهد العثمـــــــانى الأول

يقـــول بعض المؤرخين أن الذى حمل السلطان سليمان القانونى على أشهار الحرب على الصفويين قسوة الفرس واضطهادهم السنة أبناء مذهبه فى الوقت الذى كانت الدولة العثمانية قد بلغت فيه مبلغاً عظيماً من القوة .

فصـــمم السلطان على الانتقام منهم فأعلن الحرب عليهم فأفتتحت جيوشه تـــبريز ثم بغداد فى سنة ٩٤١ هـــ ثم الموصل ودانت له بلاد الرافدين . ولعله أتخذ اضـــطهاد أبـــناء مذهـــبه ذريعة للاستيلاء على هذا القطر شأن أكثر الملوك حينما يخدمهم السعد وتقبل عليهم الدنيا .

أمـــا البصـــرة فأنها كانت يوم مجيء السلطان سليمان إلى بغداد بعد دخول جيشـــه فيهـــا بأيام تحت حكم أمير فارسى أسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغـــداد وغيرهـــا فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدى هذا الفاتح الكبير فلما قدمها عرض الطاعة والخضوع فأقره السلطان على البصرة على شـــرط أن تكون الخطبة والنقود بأسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك فى المسائل الهامة فعاد راشد خان إلى منصبة ولكنه استبد بالأمور بعد أشهر كـــأن لم تكـــن له رابطة بالدولة العثمانية فأضطرت إلى إرسال جيش بقيادة الوزير

إيـــاس باشا لطرد راشد خان من البصرة [١] فلما أقترب جيش الأتراك فر راشد خان فدخل الأتراك البصرة بدون حرب فى سنة ٩٥٣ هـــ فنظم إياس باشا شئون البصرة وضم إليها واسطاً وجزائر شط العرب .

وظـــلت البصرة فى قبضة الأتراك التابعين لولاة بغداد إلى سنة ١٠٠٥ هـــ فأستقل بها أمراؤها واستبدوا فيها وحكموا أهلها بما تشتهيه نفوسهم ودخلت سنة ٩٧٠ هــــ فوجهت إمارة البصرة إلى درويش على باشا التركى وكان هذا سيء الـــتدبير غـــير كفؤ للحكم فزل نفوذه وقلت الأموال عنده حتى عجز عن أرزاق الجند المحافظين للمدينة .

---

(١) ويـــروى أن الســـلطان سليمان باشا لما استولى على العراق كان على البصرة حاكماً مغـــامس بن مانع وهو الذى خضع للسلطان وأرسل ابنه راشد لعرض الطاعة فحكم مغامس البصرة ست سنوات ثم أستبد بالأمور وعصى على ولاة بغداد الأتراك وكان سبب عصيانه أن جماعة ممن عصوا حكومة بغداد كانوا قد التجأوا بمغامس فطلبهم والى بغداد منه فأمتنع عن تسليمهم فأشتد الخلاف حتى عصى مغامس فكتب بذلك الوالى على السلطان فأمر بطرده من البصرة وسيره جيشاً لأخذها منه بقيادة والى بغداد إياس باشا وبعد حروب أنهزم مغامس إلى نجد فأستولى الجيش العثمانى على البصرة وذلك فى سنة ٩٥٣ هـــ .

استقلال الأمراء بالبصرة

كان رجل فى البصرة يدعى افراسياب الديرى [١] وكان كاتباً لأميرها على باشا فلما ضعف أمر الأمير وقلت عنده الأموال وعجز عن تدبير شؤون الإمارة وإعاشة الجند حتى أستخف به الأهلون تساوم مع كاتبه افراسياب على إمارة البصرة فباعها له بثمانية أكياس من الذهب (والكيس ثلاثة آلاف محمدية) على شرط أن يكون افراسياب خاضعاً لسلاطين آل عثمان وأن يخطب لهم على المنابر ويضرب السكة بأسمائهم وعلى هذه الشروط استلم افراسياب إمارة البصرة وأستلم على باشا المال وصار على الآستانة وذلك فى سنة ١٠٠٥ هـ فى عهد السلطان مراد الثالث وهذا الحال أعنى بيع إمارة كإمارة البصرة التى هى باب العراق سواء علم بذلك السلطان أو بالعكس مما يدل على شيوع الفوضى فى المملكة العثمانية يوم ذاك .

ولم تمض على أمر افراسياب أشهر حتى قوى أمره وخافه الأمراء وكان أهلاً للإمارة فاحبه الناس لسيرته الحسنة ثم أستولى على أكثر الجزائر ومنع ما كان يأخذه من البصرة حاكم الحويزة السيد مبارك خان من الجوائز السنوية التى كانت أشبه بالجزية (أو الخاوة) وكذلك منعه من أخذ شىء من جهة شط العراب

---

(١) الديرى نسبة إلى الدير الذى هو موضع فى شمال البصرة . ويروى أن افراسياب من نسل آل سلجوق الأتراك وأن أهل الدير أخواله .

الشرقية [١] وظل السعد يخدم افراسياب حتى بقى مستقلاً بالبصرة وما يتبعها سبع سنوات ، فتوفى بالبصرة فى سنة ١٠١٢ هـ وتولى الإمارة ابنه على باشا بوصية منه وكان حازماً كأبيه فأفتتح بقية الجزائر [٢] وكوت معمر وكوت الزكية وفتح صدره للعلماء والشعراء وأمن السبل ، وفى أيامه ولدبالبصرة فى سنة ١٠٢٥ هـ شهاب الدين بن معتوق الموسوى البصرى الشاعر المتوفى سنة ١١١١ هـ .

وفى أيامه فى سنة ١٠٣٦ هـ زحف القائد الفارسى صفى قلى خان بجيش كبير من الفرس على البصرة بأمر من الشاه عباس الأول بعد أن أفتتح الشاه بغداد فى سنة ١٠٣٢ هـ فحاصر هذا القائد البصرة حصاراً شديداً دافع فى خلاله على باشا دفاع الابطال وبينما هم فى ذلك إذ فاجئهم خبر موت الشاه فتركوا الحصار وعادوا إلى بغداد إذ كان صفى قلى خان يوم ذاك قائداً لجيش بغداد الفارسى .

وبقى على باشا منفرداً بالحكم حتى مات فى سنة ١٠٥٧ هـ فتولى الإمارة ابنه حسين باشا فورده منشور السلطان بتوجيه الإمارة إليه على جرى العادة فى ذلك العهد فأستبد بالأمور وأساء السيرة والتدبير وظلم الأهلين حتى كرهوه

---

(١) يقول بعض المؤرخين أن السيد مبارك هذا هجم بمجموعة سنة ١٠٠٦ هـ على قرى البصرة فقتل ونهب فوجهت الدولة العثمانية إيالة بغداد للوزير حسن باشا وأودعت إليه قيادة جيوش العراق وضمت إليه شهر زور على أن يقمع الفتن التى يثيرها السيد مبارك فى جهات البصرة ، والظاهر أن المؤرخ أخطأ فى التاريخ وأن الحادثة كانت قبل بيع إمارة البصرة إلى افراسياب. والحويزة قصبة بخورستان أعنى الأهواز .

(٢) الجزائر هى الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب وكانت كثيرة منها قرية بنى منصور وقرية بنى حميد ، ونهر عنتر ونهر صالح وديار بنى أسد وديار بنى محمد، والفتحة ، والقلاع ونهر السبع ونهر صالح والباطنة والمنصورية والإسكندرية ومواضع أخر وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة وطوائف كثيرة وهى كثيرة المياه وعرة المسالك .

ونقموا عليه ثم حدثت بينه وبين عميه أحمد أغا وفتحي بك ولدى افراسياب وحشة فسارا إلى عاصمة آل عثمان فشكيا إلى السلطان أعمال حسين باشا واستبداده وظلمه فأصدر السلطان محمد الرابع أمره بطرده من البصرة وبتجهيز الجيوش بقيادة والى بغداد مرتضى باشا فجهزت الجيوش من بغداد وغيرها من المدن العثمانية وسار مرتضى باشا قاصداً البصرة فى سنة ١٠٦٣ هـ .

وبلغ ذلك حسين باشا فأستعد للحرب وحصن القلاع خصوصاً قلعة القورنة [١] فالتقى الجيشان وبعد قتال حاصر مرتضى باشا البصرة ودام الحصار ثلاثة أشهر وانتهى الأمر بهزيمة حسين باشا ودخول مرتضى باشا البصرة ظافراً فى سنة ١٠٦٤ هـ وفر حسين باشا بأهله وأمواله وحاشيته إلى بلاد إيران .

ولما دخل مرتضى باشا البصرة صادر أموال جماعة من الوجهاء وقتل بعض الأعيان الموالين لحسين باشا ثم قتل أحمد أغا وفتحى بك واستعمل الشدة والظلم حتى نقم الناس وكرهوه بينما كان الحال بأضطراب إذ حدثت فتنة بين جنود مرتضى باشا الذين فى القورنة فثار أهل الجزائر على الباشا وتبعهم أعراب قشعم والمستفكيون وخزاعل وبنو كعب وبنو لام فقتلوا عماله وأصبحت البصرة محاطة بالثائرين فأضطر مرتضى باشا إلى الخروج من البصرة منهزماً بعساكره إلى بغداد .

وعلى أثر انسحاب مرتضى باشا من البصرة أرسل البصريون غلى أميرهم الفار حسين باشا يطلبون قدومه إليهم فأقبل فى السنة نفسها ١٠٦٤ هـ فدخل المدينة باحترام وعاد إلى منصبه فدان للسلطان وكتب إليه بطلب عفوه ويرجوه توجية الإمارة إليه وقدم إليه هدايا ثمينة فصدر منشور السلطان بتوجية إمارة

---

(١) القورنة كانت قلعة صغيرة فلما تولى البصرة على باشا ابن افراسياب زاد فيها وجعلها قلعة كبيرة فسميت العلبة ثم زاد فى تشييدها واتقانها حسين باشا بن على باشا وجعلها ثلاث قلاع حصينة .

البصرة إلى حسين باشا ولقبه بلقب الوزير أيضاً على عادة السلاطين فى ذلك العهد مـــع كل أمير قوى . وظل حسين باشا مستقلاً بالبصرة ولكنه أعاد حكمه القاسى وأســتبد بالأمور وظلم الناس وتجبر ثم طمع بالاحساء فسير لأخذها جيشاً فى سنة ١٠٧٣ هـــ فأفتــتحها جيشـــه عنوة وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب وقتل وفر حاكمها محمد باشا إلى عاصمة آل عثمان مستغيثاً بالسلطان فغضب السلطان على حسين باشا وأمر بطرده من البصرة ووجه قيادة الجيش إلى والى بغداد إبراهيم باشا فأجتمع الجنود العثمانية من البلاد فى بغداد فسار الوالى بجيش كبير قاصداً البصرة فى سنة ١٠٧٥ هـــ .

واتصـــل خبر هذه الحملة بحسين باشا فأستعد للحرب فالتقى الجيشان عند قـــلعة القورنـــة رحـــى الحرب بين الفريقين ثم حاصر إبراهيم باشا القورنة حصاراً شـــديداً وفى أثناء ذلك أرسل إلى البصريين كتباً يدعوهم للخضوع غلى السلطان ويحذرهـــم عاقبة العصيان ويعدهم ويمنيهم فثاروا على محمد بن فداغ نائب حسين باشـــا فقتلوه وقتلوا أعوانه وطردوا من البصرة عيال حسين باشا فبلغ ذلك حسين باشا وهو يومئذ محاصر فى القورنة فأرسل ثلاثة آلاف فارس من قبائل المنتفك وأهل الجزائـــر للتـــنكيل بالبصريين فهجموا عليهم ليلاً فقاتلهم البصريون داخل المدينة ولكنهم انكسروا وفروا فقتل الأعراب أحد الوجهاء الشيخ ذى الكفل وجماعة من الوجهاء وغيرهم ونهبوا وخربوا وأحرقوا دوراً كثيراً وفتكوا بالأهلين .

واســـتمرت الحـــرب بين إبراهيم باشا وبين حسين باشا ثلاثة أشهر فعجز الأول فاضـــطر إلى المصـــالحة وبعد مراسلات تم الصلح على شروط منها أن يدفع حســـين باشـــا نفقات هذه الحرب ستمائة كيس من النقود وأن يسلم فى كل سنة مائتى كيس من النقود إلى خزينة الدولة وأن يعيد متصرف الإحساء محمد باشا إلى منصبه . وتعهد إبراهيم باشا بصدور عفو السلطان وتوجيه إمارة البصرة إلى حسين

باشا وأخذ معه يحيى أغا بن علي أغا صهر حسين باشا ليأخذ منشور السلطان بالإمارة ورجع إبراهيم باشا إلى بغداد وعاد حسين باشا إلى البصرة وانتهت هذه الفتنة فى سنة ١٠٧٦ هـ .

ولما رجع إبراهيم باشا إلى بغداد ومعه يحيى أغا انهزم أربعة من الكواوزة الذين ضاق بهم الحال مع حسين باشا لسوء سيرته وهم أحمد بن محمود وإبراهيم بن علي وأثنان آخران [١] وانضموا إلى إبراهيم باشا ثم توجهوا مع يحيى أغا إلى الآستانة فأطمعوه بولاية البصرة فاتفق معهم وغدر بصاحبه وحميه حتى إذا ما وصلوا الآستانة شكى جميعهم إلى السلطان ظلم حسين باشا واستبداده واتفق فى تلك الأثناء وصول كتاب من وجهاء البصرة على السلطان مع جماعة منهم يشكون فيه أعمال حسين باشا وحكمه القاسى وأخذ الأموال بالباطل ، إذا أغتصب أموال التجار والأعيان وفتك بكثيرين منهم بعد مصالحته مع إبراهيم باشا والى بغداد فأجتمع الوجوه سراً وكتبوا كتاباً على السلطان شكوا فيه ما يقاسونه من الظلم والعنف والاستبداد وأرسلوه مع جماعة منهم إلى العاصمة ليقدموه إلى السلطان .

فلما كثرت الشكوى على حسين باشا عند السلطان أصدر أمره بطرده من البصرة طرداً نهائياً وبتوجيه إمارتها إلى يحيى أغا ووجه إليه رتبة الوزارة فدعى يحيى باشا وأودعت قيادة الحملة إلى الوزير إبراهيم باشا والى بغداد ويروى أن قيادة هذه الحملة كانت قد أودعت إلى الوزير قرة مصطفى باشا بأمر من السلطان محمد الرابع فى سنة ١٠٧٨ هـ فأجتمع الجيش العثمانى ببغداد وانضمت إليه جيوش

---

(١) الكواوزة أو بيت الكواز ينسبون على الكواز الشيخ محمد المشهور بالكواز وهم أولاده ولهذا البيت منزلة رفيعة بالبصرة والشايع أنهم من نسل العباسيين وهم المعروفون اليوم بآل باش اعيان .

الـــرفة والموصل وشهر زور وغيرها حتى بلغ عدد الجيش على ما قيل خمسين الف مقاتل .

وأتصل خبر هذه الحملة الكبيرة بحسين باشا فأستعد للحرب وصادر أموال الـــتجار والمثرين وأرسل أمواله وعياله على بلاد إيران وظل يجمع الجموع حتى بلغ عـــدد جيشـــه خمسة عشر ألف مقاتل فتوجه به نحو القورنة فأصدر أمره بإخلاء البصـــرة فأخلوها فى ثلاثة أيام وخرج أهلها من ديارهم فى أسوأ حال ثم أمره أهل القـــرى الـــتابعة للبصـــرة بالجلاء عن ديارهم فتركوها بعد أن نهبت رجاله أكثر أمواهـــم وقتـــلوا وعذبوا من خالف الأمر وكان الموظفون على تخليه تلك الديار أعوان هذا الأمير القاسى الحكم منهم أحد مماليكه على بن أحمد بن شاطر وحسن ابن طهماز وغيرهما .

وألـــتقى جيش السلطان بجيش حسين باشا بالقرب من القرنة وبعد معارك دامـــت أياماً انكسرت جيوش حسين باشا فأضطر إلى أن يتحصن فى قلاع القورنة فأهـــزمت عساكره ثانية واستولى الجيش التركى على قلاع القورنة فأعمل السيف فى أهـــلها وقـــد قتل فى هذه المعركة الأخيرة نحو الأربعة آلاف من الأعراب فأهزم حسين باشا بحاشيته إلى بلاد إيران قاصداً شيراز فدخل الجيش العثمانى ظافراً وذلك فى سنة ١٠٧٨ هـــ [1] وانتهى أمر أستقلال الأمراء بالبصرة .

---

(١) وقيـــل فى سنة ١٠٧٩ هـــ ثم سار حسين باشا من شيراز إلى الهند وهناك تولى بعض المدن ثم قتل فى حرب حدثت بينه وبين أحد الولاة .

ولاة
البصرة الأتراك

دخـــل الجيش العثمانى البصرة فتولى ولايتها يحيى باشا ورتب جيشاً لحماية المديـــنة ونظم شؤونها ولكنه بعد أن عادت الجيوش إلى أماكنها وقوى أمره تغيرت ســـيرته فرفض قبول الدفترى (الدفتردار) التركى وأمتنع عن أداء نفقات الجيش ثم طـــرد الدفترى وأمراء الجيش وطلب أن ينفرد بالحكم على أن يؤدى فى كل عام مـــائتى كيـــس من النقود إلى خزينة الدولة وأستمر على عتوة منفرداً بالحكم حتى حدثـــت بينه وبين الانكشارية الذين فى القورنة فتنة بسبب تأخير مرتباهم فأرسل لقـــتالهم فرساناً من القبائل العربية التى تحت حكمه فقتلوهم ونجا منهم من فر فبلغ ذلـــك الســـلطان فأصدر أمره بعزله وبتوجيه ولاية البصرة إلى قره مصطفى باشا المعـــروف بقبوجى باشى وذلك فى سنة ١٠٨٠ هـــ فسار الأمير الجديد بجيش من الأتراك فأستلم البصرة وبقى على إمارتها إلى سنة ١٠٨٣ هـــ فأبدل بمحافظ بغداد حسن باشا ثم عزل وتولى مكانه السلاحدار حسين باشا فى سنة ١٠٨٥ هـــ فظل عـــلى ولاية البصرة إلى أن نقل فى سنة ١٠٨٨ هـــ إلى ولاية ديار ديار بكر فأعيد عـــلى البصرة حسن باشا ثم طلبه السلطان فى سنة ١٠٩٢ هـــ وأرجع على ولاية البصرة السلاحدار حسين باشا ثم عزل فى سنة ١٠٩٤ هـــ ووجهت ولاية البصرة إلى الوزيـــر عـــبد الرحمن باشا وكان هذا الوزير من خيرة الولاة عالماً فاضلاً حسن السيرة والتدبير محباً للعلم والعلماء فجدد بناء المساجد وأحيا بعض المدارس وأسس

المدرسة المعروفة بالرحمانية (نسبة إليه) وخفف عن الأهلين بعض الضرائب ومن أجل ذلك أحبه البصريون حباً جماً ولكنه عزل فى سنة ١٠٩٨ هـ وتولى بدله حسين باشا الكمركجى فأساء السيرة وظلم الأهلين فعزله السلطان فى سنة ١٠٩٩ هـ وأعاد الوزير عبد الرحمن ففرح البصريون بعودته فلم يدم فرحهم إلا قليلاً لأن السلطان عزله فى سنة ١١٠٠ هـ وولى على البصرة دفتريها السابق حسين باشا ومنح له لقب الوزير أيضاً فثار فى أيامه سنة ١١٠٢ هـ الشيخ مانع أمير المنتفك وخرج على الدولة فحدثت بينه وبين حسين باشا هذا عدة معارك انجلت عن إنكسار حسين باشا شر كسرة لعدم نصرة والى بغداد له وكانت النتيجة أن قوى أمر مانع فأستولى بعد انتصاره بقليل على جصان وبدره ومندلى . وعلى أثر ذلك عزل السلطان حسين باشا عن البصرة وأرسل بدله الوزير أحمد باشا ابن عثمان باشا .

هجمات المنتفكيين على البصرة

تولى أحمد باشا البصرة فحدث فى أيامه طاعون شديد الوطأة فمات به خلق كثير من البصريين فأغتنم الأعراب فرصة انشغال البصريين وأميرهم بهذا المرض الفتاك فأتفق أهل الجزائر والمنتفكيون على غزو البصرة ونهبها فحمل عليها منهم ثلاثة آلاف فارس بقيادة أمير المنتفك الشيخ مانع فبلغ ذلك أحمد باشا فلم يتمكن من جمع جيش كاف لصدهم فخرج لقتالهم بخمسمائة فارس فالتقى بهم فى الدير

فتقاتلوا ثلاثة أيام فانجلت المعركة عن تمزيق جيش البصرة ووقوع أحمد باشا قتيلاً فى المعركة .

واتصـــل خبر هذه الحادثة بالبصريين فأتفقوا على تولية الكتخدا حسين أغا ليقـــوم بصـــد الأعراب فولوه عليهم فجمع منهم جمعاً كبيراً للدفاع وبينما هو فى ذلك إذ هجم الثائرون على المدينة فوقف لصدهم ودافع دفاع المستميت حتى تمكن مـــن طردهم ولكنه قتل بعد ذلك فى سنة ١١٠٣ هـــ فأتفق البصريون على نصب حسين الجمال والياً عليهم فقام بالأمر حتى وجهت الولاية إلى خليل باشا أخى والى بغـــداد أحمد باشا فى سنة ١١٠٤ هـــ فجمع خليل باشا جيشاً من بغداد وجائت إليه الجيوش نجدة من الموصل وشهر زور بأمر من السلطان لقتال أمير المنتفك مانع فقـــاد الحمـــلة بنفســـه حتى ألتقى بمانع فى الجزائر وبعد حروب دامت خمسة أيام انكسرت جيوش خليل باشا فأضطر إلى التقهقر فأستولى الأمير مانع على معسكره ونهب أمواله وذخائره وتحصن خليل باشا فى البصرة .

وقـــوى أمر مانع حتى أضطر السلطان إلى استمالته وكتب إليه كتاباً يدعوه فيـــه إلى الطاعة والخضوع وينصحه ويحذره عاقبة الشقاق والخلاف . وأصدر أمره بزيادة مخصصاته فخضع مانع لأمر السلطان وعاد إلى مقره وهدأت الأحوال .

استيلاء المنتفكيين على البصرة

لما صفى الجو لخليل باشا والى البصرة أطلق العنان لأعوانه فأستبدوا بالأمور وظلموا الأهلين وأضطهدهم على مرأى ومسمع منه حتى ضاق الحال بالبصريين فأتفقوا على طرده فثاروا عليه وطردوه هو وأعوانه وسلموا المدينة إلى أمير المنتفك الشيخ مانع وذلك فى سنة ١١٠٦ هـ والظاهر أن الشيخ مانع هو الذى سبب هذه الثورة ليتسنى له الحكم بالبصرة .

وبقى الشيخ مانع أميراً على البصرة إلى سنة ١١٠٩ هـ منفرداً بالحكم والدولة العثمانية لا تبدى حراكاً لضعفها وكانت النتيجة أن خدع حاكم الحويزة فرج الله خان مانعاً وأستعمل عليه الحيل والدسائس والخداع حتى أخرجه من البصرة فأستولى عليها .

دخول البصرة
فى قبضة الفرس وإخراجهم منها

استولى فرج الله خان حاكم الحويزة على البصرة كما ذكرنا فلما استتب أمره فيها استخلف عليها أحد رجاله المدعو داود خان فدخلت البصرة تحت سيادة الفرس .

وبلغ خبر إستيلاء فرج الله خان على البصرة إلى السلطان فلم يشأ أن يتركها له وهو من ولاة الفرس المستقلين فى تلك الجهات فوجه ولاية البصرة إلى والى حلب على باشا وأمره بجمع العساكر من البلاد لقتاله وإخراجه من البصرة فأجتمعت الجيوش من حلب وديار بكر والموصل وسيواس وبغداد حتى بلغ عدد الجيش نحو الخمسين ألفاً على ما نقل فسار على باشا بالجيوش حتى وصل القورنة فى سنة ١١١١ هـ فسمع داود خان بقدوم هذا الجيش الكبير فأنهزم من البصرة فدخلها على باشا بدون قتال فدانت له المدينة وما يتبعها من القرى والقبائل فساد الأمن والسكون وعادت البصرة إلى الدولة العثمانية بعد أن ملكها حاكم الحويزة الفارسى نحواً من سنتين .

إستيلاء المنتفكيين على البصرة ثانية وطردهم منها

دخلت سنة ١١١٤ هـ فوجهت ولاية البصرة إلى محمد باشا القبودان فدام حكمه فيها إلى سنة ١١١٨ هـ فعزل وأرسل بدله الوزير خليل باشا فثار فى أيامه فى سنة ١١٢٠ هـ أمير المنتفك الشيخ مغامس وهجم على البصرة فأستولى عليها عنوة فأضطربت الأحوال وفقد الأمن وسادت الفوضى فبلغ ذلك السلطان فأصدر أمره إلى والى بغداد حسين باشا بجميع الجيوش وإخراج الأعراب من البصرة فصدع الوالى بالأمر وجاتئه النجدات بأمر السلطان من حلب والموصل وديار وشهر زور حتى أجتمع عنده جيش كبير فسار به قاصداً البصرة .

وأتصل خبر هذه الحملة بمغامس فجمع الجموع من المنتفكيين والنجديين واستعد للحرب وبنى قلعة كبيرة على نهر عنتر فى القورنة حشد فيها جموعه فوصله الجيش العثمانى فاحاط به من كل الجهات فدارت بين الطرفين حرب هائلة انتهت بهزيمة أمير المنتفك فى سنة ١١٢١ هـ فأحتل حسين باشا القورنة ثم توجه إلى البصرة فدخلها ظافراً فوجهت ولايتها إلى كتخدا بغداد مصطفى أغا وبعد ان نظم حسين باشا شؤون البصرة وجعل عليها حامية عاد إلى بغداد وعادت الجيوش إلى أماكنها وانتهت تلك الفتنة .

وبقيت ولاية البصرة تنتقل من وزير إلى آخر كلهم من الأتراك العثمانيين من سنة ١١٢٤ هـ إلى سنة ١١٥٦ هـ ولم يحدث فيها فى هذه المدة غير تبديل

الولاة وبعض الحوادث الطفيفة بين القبائل العربية تارة وبينهم وبين الولاة أخرى مما لا أهمية له .

إغارة

نادر شاه على البصرة

عندما خلع الشاه عباس الثالث الصفوى وتوصل القائد الفارسى نادر خان إلى الجلوس على عرش إيران وقرض الدولة الصفوية وأعلن ملوكيته فى سنة ١١٤٨ هـ وسمى نادر شاه ولقب نفسه بطهماسب الثالث طمع بالعراق فأشهر الحرب على الدولة العثمانية فأغار على البصرة والقورنة فى سنة ١١٥٦ هـ ثم توغل فى البلاد الفراتية ووصل الحلة ثم حاصر بغداد فى عهد الوزير أحمد باشا فلم يتمكن من أخذها وظلت الحرب بينه وبين الأتراك إلى سنة ١١٥٩ هـ فتم الصلح بينه وبينهم ولم تقف على تفاصيل هذه الغارة على البصرة والظاهر أنه لم يدخل المدينة .

وظل العثمانيون بعد هذه الحادثة يولون على البصرة متسلماً بعد متسلم إلى سنة ١١٨٨ هـ ولم يحدث فيها فى هذه الأعوام الطوال شىء يستحق الذكر سوى ثلاث حوادث الأولى ثورة أمير قشعم محمد بن مانع فى سنة ١١٣٧ هـ فأخضعه والى البصرة عبد الرحمن باشا ثم عفى عنه وأمنه بعد أن أخذ منه أموالاً كثيرة . والثانية هجرت الشيخ سليمان رئيس قبيلة بنى كعب والتجائه بكريم خان الزندى فى سنة ١١٧٨ هـ فأسكنه مع قبيلته بأرض الدورق . وصار تابعاً للفرس بعد ما كان تابعاً للدولة العثمانية بسبب ما قاساه من ظلم والى بغداد عمر باشا . والثالثة

صــــدور أمر والى بغداد عمر باشا إلى متسلم البصرة سلام أغاسي محمد أغا بقتل جماعة من الوجوه وبمصادرة أموال بعض القبائل مما سبب الاختلال بالبصرة .

إستيلاء كريم خان الزندى على البصرة

كانت أحوال البصرة مضطربة جداً فى عهد والى بغداد عمر باشا فى الوقت الــذى كـــان فيه أمر كريم خان الزندى المتغلب على مملكة إيران قد قوى فأغتنم فرصـــة ذلك الاضطراب فأعلن الحرب على العثمانيين وأرسل أخاه صادق خان بجيش كبير فى أواخر سنة ١١٨٨ هـــ فحاصر البصرة ومعه الشيخ سلبمان رئيس بـــنى كعب بقبائله وعلى البصرة يومئذ متسلماً سليمان بك أحد المماليك الأتراك المعـــروف بـــأبى سعيد الذى تولى إمارتها فى سنة ١١٨٢ هـــ . فدام الحصار ثلاثة عشـــر شهراً فى عهد السلطان عبد الحميد الأول حتى أضطر المتسلم سليمان بك الدفـــاع الطويل إلى التسليم فى سنة ١١٩٠ هـــ (وسبب ذلك تقاعد والى بغداد عمـــر باشـــا عـــن نصرته مع أن السلطان كان قد أرسل نجدة ومالاً لصد الفرس وأرســـل جماعـــة مـــن القواد الكبار إلى بغداد ليجهزوا الجيوش فطمعوا بالمناصب والأمـــوال وتقاعدوا عن أمر البصرة ثم حدثت بينهم فتن عديدة مما لا محل لذكرها فى هـــذا المختصـــر على أن المنتفكيين كانوا قد جاؤا نجدة للبصريين وقاتلوا معهم ولكنهم لما طال أمد الحصار رجعوا إلى مواطنهم) .

ولمـــا دخـــل صادق خان البصرة بعد أن أمن المتسلم والوجوه أسر المتسلم وجماعـــة من الأشراف والأعيان والتجار وساقهم مخفورين إلى شيراز عاصمة أخيه

كــريم خــان وأضــطهد الأهلين حتى إذا ما كانت سنة ١١٩٢ هـ حدثته نفسه بالإســتيلاء على بلاد المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعــلى المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعلى المنتفك يومئذ الأميران ثامر بن سعدون وثوينى بن عبد الله . فبلغ ذلك المنتفكيون فأستعدوا للقــتال وأجــتمعوا بالفصــيلة (ويروى الفضيلة) قرب الفرات فألتقى الجيشان فأســتمرت الحرب يوماً وليلة وكانت حرب عنيفة فأنجلت عن انهزام الفرس اشنع هزيمة بعد أن قتل منهم عدد كبير فلحق المنتفكيون المنهزمين وطاردوهم فغرق عدد كثير من الفرس فى الفرات وغنم المنتفكيون أموالهم وخيولهم وعادوا منصورين إلى مواطنهم .

أمــا صداق خان فأنه حنق على المنتفكين حنقاً شديداً عند وصول شراذم جيشه المنهزمين وصمم على الانتقام منهم فجهز فى سنة ١١٩٣ هـ جيشاً جديداً لغــزوهم وصيره بقيادة محمد على خان أيضاً وأرسل معه أخاه الآخر مهدى خان والشــيخ سليمان رئيس بنى كعب بقبائله العربية القحطانية. فبلغ خبر تلك الحملة المنــتفكين فأســتعدوا للحرب فألتقى الجمعان بأبى حلانة فأراد المنتفكيون الصلح عندما شاهدوا كثرة العدد والعدد غير أن نفوسهم ابت قبول الشروط التى شرطها القــائد الفارسى ففضلوا الموت على الذل فجرت بين الفريقين حرب دموية هائلة استمات فيها العرب فهجموا هجمات عنيفة لم يسمع بمثلها فأنتهت الحرب بتمزيق الجيــش الفارسى ووقوع القائد محمد على خان وأخوه مهدى خان قتيلين مع من قــتل مــن الفرس فأنهزم من بقى منهم فطاردهم العرب ولحقوا فلولهم إلى البصرة وهــناك حاصروهم فيها بعد أن غنموا منهم أموالاً وسلاحاً وخيلاً وأتفق فى أثناء ذلك موت كريم خان الزندى ووصول نعيه إلى البصرة.

فلما دخل المنهزمون من الفرس البصرة وحاصر العرب المدينة حتى ضيقوا على حاميتها خاف صادق على نفسه من أن يمد والى بغداد المنتفكيين فيقع فى الأسر وقد أصبح بعد موت أخيه وحيداً لا ناصر له خصوصاً وأن زكى خان كان قد تغلب على عرش إيران فأنهزم من البصرة ليلاً باتباعه فى السنة نفسها ١١٩٣ هـ فدخلها المنتفكيون وكتبوا بذلك إلى حكومة بغداد وعلى ولايتها يومئذ الكتخدا إسماعيل بك وكيلاً فأرسل إلى البصرة متسلماً نعمان بك وانتهت هذه الحادثة بعد ان دام حكم الفرس بالبصرة نحواً من ثلاث سنوات .

تسلم نعمان بك متسلمية البصرة وعلى أثر وصوله أطلق الفرس الاسراء ومن جملتهم سليمان بك المتسلم فأرجعه السلطان إلى منصبه بعد أيام قليلة ثم وجه إليه بعد أشهر ولاية العراق فعرف بالوزير سليمان باشا الكبير وبعد وصوله بغداد بأيام أرسل سليمان أفندى متسلماً للبصرة فى سنة ١١٩٤ هـ .

وفى أيام سليمان أفندى المتسلم فى سنة ١١٩٩ هـ ثار أمير خزاعة حمد بن حمود على الحكومة فشن الغارات على أطراف البصرة فأستنجد المتسلم بسليمان باشا فجهز له جيشاً كبيراً فالتقى الجيش بالثائر فى الأهواز فأنتصر عليه وفرق جموعه وفر حمود إلى الحسكة وعلى أثر ذلك عزل سليمان أفندى فى سنة ١٢٠٠ هـ وأرسل بدله من بغداد إبراهيم بك متسلماً على البصرة .

استيلاء المنتفكيين على البصرة

كان قد خرج على حكومة بغداد رجل يدعى عجم محمد فجمع الجموع من أهل البلاد والقبائل فقاتله الوزير سليمان باشا حتى مزق جموعه فتلاه سليمان بك الشاوى فثار أيضاً على الوزير طمعاً فى منصبه وحاول على ما ينقل تأسيس دولة عربية فى العراق ولكنه فشل وتمزقت جموعه فالتجأ بأمير المنتفك ثوينى بن عبد الله كما ألتجأ عجم محمد بأمير خزاعة حمد بن حمود فأغرى كل منهما صاحبه على الثورة فأتفق الجميع على قتال سليمان باشا وخلعه من ولاية العراق فأجتمعوا وأعلنوا الخروج فحملوا على البصرة وزعيمهم أمير المنتفك ثوينى ولكن كل من الأربعة يريد الولاية لنفسه . فهجموا على البصرة فى أواسط سنة ١٢٠٠ هـ وبعد حرب طفيفة استولوا عليها وقبضوا على متسلمها إبراهيم بك فحبسوه وصادروا أمواله ثم نفوه إلى مسقط وصادروا أموال أكثر التجار وجبوا الرسوم والضرائب وضيقوا على الناس حتى اضطر أكثرهم إلى الهجرة إلى بغداد وغيرها .

واتصل خبر هذه الحادثة بالوزير سليمان باشا فجهز جيشاً كبيراً من العرب والأكراد والأنكشارية وغيرهم وسار به نحو البصرة على طريق المنتفك وهناك التقى بالثائرين فى محل يسمى أم العباس فأوقع بهم ومزقهم فأنهزم أميرهم ثوينى فولى الوزير على المنتفك أميراً جود بن ثامر بن سعدون ثم صار إلى البصرة فأنهزم منها من كان فيها من الثائرين فدخلها بسلام فى أواخر سنة ١٢٠١ هـ وبعد أن نظم شؤونها ولى عليها متسلماً مصطفى أغا الكردى وجعل لحمايتها فرقة من عساكر الأكراد وعاد هو ومن معه إلى بغداد .

القلاقل فى البصرة وغارة أمير نجد عليها

بقى مصطفى أغا الكردى على البصرة إلى سنة ١٢٠٣ هـ فأمتنع عن إرسال الخراج إلى بغداد وعصى على الحكومة وبعد حوادث طويلة قتل رئيس بوارج الدولة مصطفى أغا الحجازى وسعى فى إيقاد ثورة فى البلاد ولكنه لم ينجح فى مسعاه فزحف عليه الوزير سليمان باشا بجيشه حتى دنى من البصرة فأنهزم مصطفى أغا إلى الكويت فدخل الوزير البصرة فولى عليها متسلماً عيسى بك الماردينى وذلك فى سنة ١٢٠٤ هـ .

وظل عيسى بك فى منصبه إلى سنة ١٢٠٨ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله عبد الله أغا فمكث فى منصبه إلى سنة ١٢١٣ هـ فحدث بينه وبين الوزير سليمان باشا خلاف فعصى عليه فجهز الوزير لقتاله جيشاً فأنهزم عبد الله أغا ولكنه بعد أيام قليلة سار إلى بغداد وخضع للوزير وطلب عفوه فعفى عنه وأرجعه إلى منصبه فى سنة ١٢١٤ هـ فدام حكمه فى البصرة إلى سنة ١٢١٦ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله صهره سليم بك .

ولما مات الوزير سليمان باشا الكبير ببغداد فى سنة ١٢١٧ هـ عزل صهره سليم بك عن البصرة [١] وأرسل بدله إبراهيم أغا متسلماً .

---

[١] وسليمان باشا هذا هو الذى جدد سور البصرة وأسواقها وعمر قصبة الزبير .

وفى أيام المتسلم إبراهيم أغا هذا فى سنة ١٢٢٠ هـ زحف أمير نجد سعود ابن عبد العزيز بجموعه على البصرة فهجم عليها فدافع المتسلم دفاعاً شديداً حتى ضاق الحال بأهل المدينة فأستغاثوا بالمنتفكيين فجائهم حمود بن ثامر بجموعه نجدة فأضطر أمير نجد إلى الانسحاب ولكنه عند عودته أحرق بعض القرى ونهب وخرب.

وعزل المتسلم إبراهيم أغا فى سنة ١٢٢٣ هـ وأرسل بدله من بغداد سليم بك فأستقر أمره فى البصرة حتى إذا ما كانت سنة ١٢٢٥ هـ حدث بينه وبين الوزير سليمان باشا القتيل وحشة فأوعز الوزير إلى أمير المنتفك حمود بن ثامر بطرده من البصرة فحمل عليه حمود ففشل المتسلم وتفرقت جموعه فأضطر إلى الهزيمة فدخل حمود البصرة وكتب بذلك إلى الوزير فأرسل أخاه أحمد بك متسلماً للبصرة فى السنة نفسها .

وعلى أثر الوزير سليمان باشا الصغير (أو القيل) عزل أخوه أحمد بك عن البصرة ووجهت متسلميتها إلى رضوان أغا فى سنة ١٢٢٦ هـ ثم عزل وأرسل بدله يعقوب أغا سنة ١٢٢٧ هـ فعزل ايضاً فى سنة ١٢٢٨ هـ وتولى مكانه سعيد أغا فعزل بعد سنة وأرسل بدله فى سنة ١٢٢٩ هـ بكر أغا فمكث هذا فى منصبه إلى سنة ١٢٣٦ هـ فعزل وخل مكانه محمد كاظم أغا بانى السوق المعروف اليوم بسوق كاظم أغا . وفى أيامه خرج على الحكومة محمد بن ثاقب بن وطبان الزبيرى فهجم بجموعه على قصبة الزبير أولاً. فصده عنها أهلها بمساعدة آل الزهير ثم قصد البصرة فجمع كاظم أغا الأهلين وضم إليهم جيشه فدافع حتى تمكن من طرد الثائر .

وعزل كاظم أغا فى سنة ١٢٣٩ هـ فعين متسلماً على البصرة عبد الغنى أغا فعزل بعد سنة .

غارة المنتفكيين
وهجوم بنى كعب على البصرة

تولى متسليمة البصرة فى سنة ١٢٤٠ هـ عزيز أغا وكان أهلاً لهذا المنصب فدام حكمه إلى سنة ١٢٤٧ هـ وفى أيامه فى سنة ١٢٤٣ هـ عزل الوزير داود باشا حموداً عن إمارة المنتفك لأمور نقمها عليه وولى بدله على المنتفك عقيل بن محمد بن ثامر فثار غضب حمود وأعلن الخروج على الدولة وجمع الجموع وسيرها بقيادة ابنيه ماجد وفيصل لأخذ البصرة وخشى الفشل فراسل سلطان مسقط السيد سعيد ورؤساء بنى كعب يطلب منهم النجدة فجائته نجده مسقط فى السفن ونجدة بنى كعب على الخيل ، فنزل ماجد بالجيش البرى قريباً من نهر معقل [1] ونزل فيصل بالجيش البحرى أو النهرى بأبى سلال فلما تكاملت الجيوش حاصرا البصرة براً ونهراً فدافع البصريون دفاعاً شديداً وعاضدهم بنو عقيل النجديين وقاتلوا معهم فدامت المعارك بين الفريقين نحواً من شهرين فأنجلت عن هزيمة الهاجمين فى السنة نفسها .

وفى أيامه ف سنة ١٢٤٦ هـ على أثر عزل الوزير داود باشا وأسره وتولية إمارة العراق على باشا اللاظ هجمت عشيرة بنى كعب على البصرة فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ومعاضدة بنى عقيل النجديين فطردوهم خاسرين .

---

(١) نهر معقل أحد انهار البصرة القديمة وينسب إلى معقل بن يسار بن عبد الله الذى أحتفره ومعقل هذا من مشاهير البصرة وقد توفى ف أيام معاوية بن أبى سفيان .

وعلى أثر هذه الحادثة عزل على باشا أغا وأرسل بدله متسلماً على البصرة عبد القادر باشا فمات هذا بالبصرة فى مرض الطاعون بعد بضعة أشهر من توليته . وعزيـــز أغـــا هذا هو الذى جدد بناء مسجد بدر المتصل بسوق كاظم أغا فعرف بجامع عزيز أغا .

البصرة بعد الوزير داود باشـــــا

كـــانت البصرة فى عهد الوزير داود باشا أمير العراق قد أخذت تدب فيها روح المدنيـــة ولكـــنها مـــا كانت تنجو من ظلم متسلميها المستبدين من المماليك الأتراك [١] حتى إذا ما انتهت حكومة المماليك من العراق فى سنة ١٢٤٧ هـــ بعد أسر الوزير داود باشا وشرع ولاة بغداد فى بعض الإصطلاحات نالت البصرة شيئاً قـــليلاً من ذلك الإصطلاح وظلت تابعة تارة لولاة بغداد يولون عليها من شاؤا من أعوانهـــم وأحياناً يرشح الولاة من أرادوا فيصدر أمر السلطان بتعيينه وآونة يرسل السلطان متسلماً عليها من عاصمته ، وبقى الحال على ذلك إلى سنة ١٢٨٨ هـــ بعد عزل الوزير مدحت باشا فأنفصلت البصرة عن ولاية بغداد وربطت بالعاصمة (الآســـتانه) وصار السلطان يرسل إليها المتصرفين تارة والولاة أخرى ولكن أهلها

(١) وقـــد حكم البصرة جماعة كبيرة من المماليك الأتراك أشهرهم سليمان بك الذى تولى متسلميتها فى سنة ١١٨٢ هـــ وسليم بك الذى قتله عبد الله باشا والى بغداد فى سنة ١٢٢٥ هـــ .

ذاقــوا مرارات أنواع المظالم من أولئك الرجال الذين تواردوا عليها ممن لا يهمهم غير جمع الأموال بحق أو بغير حق ولا تأخذهم فى قبول الرشوة لومة لائم .

ومن الحوادث التى جرت بعد عهد الوزير داود باشا . أخذ عدة مقاطعات مــن الشيوخ كأراضى مهيجران ونهر حوز وغيره من المنتفكيين وضمها إلى أموال الدولــة فى عهد والى بغداد رشيد الكوزلكى فى سنة ١٢٧٣ هــ وأخذ مقاطعات أخــرى مــن بعض رؤساء القبائل وضمها إلى خزينة الدولة فى أيام نامق باشا والى بغداد فى سنة ١٢٨٢ هــ وسبب ذلك على ما نقل أنهم كانوا قد تغلبوا على تلك الأراضى وأخذوها من الحكومة يوم ضعفها بغير حق .

ومنها هياج وجوه البصريين على المتسلم سليمان بك التركى [1] الذى تولى البصــرة فى ســنة ١٢٨١ هــــ فظلم أهلها وابتز أموالهم حتى اضطروا إلى رفع الشــكوى إلى والى بغداد تقى الدين باشا فأكتفى الوالى بتفريعه فلم ينته فلما تولى ولاية بغداد نامق باشا رفعوا شكواهم إليه فعزله .

ومــنها أن الحكومة بدأت بأخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب مــنذ ســنة ١٢٨٢ هــــ ثم ربطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب فى سنة ١٢٨٦ هــــ وفوضــت فى الســنة نفســها أكثر الأراضى الأميرية ببدل المثل . وأســســت دائــرة البلدية فى المدينة ثم اردفتها بتأليف محكمة التمييز وسيرت سفناً بخاريــة فى دجــلة بين بغداد والبصرة فى سنة ١٢٨٥ هــ فى عهد الوزير الخطير مدحــت باشــا. ومــنها نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة فى سنة ١٢٩٢ هــ وجعلها ولاية بعد أن كانت متصرفية وعزل باشا فى سنة ١٢٩٤ هــ وأرجاع البصرة متصرفية فى سنة ١٢٩٧ هــ .

---

(١) وسليمان بك هذا من المماليك الأتراك ويقال أنه جاء من الآستانة منفياً إلى بغداد وهو والد محمود شوكت باشا الشهير .

البصرة فى عهد السلطان عبد الحميد خان الثانى

كـــانت البصـــرة متصرفية إلى أيام السلطان عبد الحميد الثانى وظلت على حالها حتى إذا ما كانت سنة ١٣٠١ هـــ جعلت ولاية عثمانية فتوالى عليها الولاة الأتراك الذين كانوا يرسلون من الآستانة وكان معظمهم من المستبدين فى الأحكام لا يـــبالون بالظلم وقبول الرشوة وابتزاز أموال الناس من أى وجه كان ولا يهمهم غـــير منافعهم الشخصية إلا من ندر منهم ولم يحدثوا إصلاحاً يذكر ولا قاموا بعمل حيـــوى ، ومـــن أشهر هؤلاء الولاة المشير نافذ باشا الذى تولى سنة ١٣٠٥ هـــ وهداية باشا المتولى سنة ١٣٠٩ هـــ وفخرى باشا الذى تولى وكالة الولاية فى سنة ١٣٢٢ هـــ ومخلص باشا المتولى سنة ١٣٢٢ هـــ غير أن هذين الأخيرين من خيرة الولاة الذين جاؤوا فى العهد الحميدى خصوصاً مخلص باشا فأنه كان من المصلحين.

عـــلى أننا لا ننكر أن هذه المدينة زادت عمارتها ونفوسها فى عهد السلطان عبد الحميد خان الثانى وصارت حسنة الأسواق كثيرة العمائر مع ما كان يحدث فى ذلك العهد من الأضطرابات بسبب هجمات اللصوص عليها إذا كانت فيها يومئذ عصـــابات مؤلفة من الأعراب والعبيد المتشردين فكانوا يهجمون على المدينة تارة ليلاً وأحياناً نهاراً فيدخلونها بصورة مريعة فيقتلون وينهبون ثم يعودون إلى أماكنهم بعد أن يأخذوا ما شاؤا من النقود التى للتجار سواء كانت فى الدور أم فى المخازن أم فى الأسواق وعداً ذلك فقد كانت الطرق فى أكثر الأحيان يقطعها اللصوص أو

الأعـراب الـثائرين على الحكومة فينقطع سير البواخر فى دجلة ويمكننا أن نقول كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى البصرة وما حولها فى العهد العثمانى الأخير .

أمـا العلوم فلم يكن لها أثر فى هذه المدينة ولا كان فيها غير عدد قليل من المدارس الابتدائية الرسمية التى أسست فى العهد الحميدى .

ومهمـا كـانت حالة البصرة غير مرتاحة فى عهد عبد الحميد فأنها كانت يومـئذ قـد زادت عمارتهـا وتوسعت وأخذت تجارتها بالرقى وزادت ثروة أهلها وكثرت نفوسها بسبب كثرة القادمين إليها للأتجار من بلاد مختلفة .

البصرة بعد
اعلان الدستور

أخـذت هذه المدينة تسير نحو الرقى والعمران منذ أعلنت الدولة العثمانية الحكـم بالدسـتور فى سنة ١٣٢٦ هـ وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجـرى فيها بعض الإصلاح. ومن أشهر ولاتها فى ذلك العهد عارف بك الماردينى الذى تولى فى أول سنة ١٣٢٧ هـ وسليمان نظيف بك الكاتب التركى المشهور المتولى فى آخر سنة ١٣٢٧ هـ ولولا الفتن التى كانت تثيرها يد المغرضين حينذاك لـزهت البصرة فى تلك الأيام . ويمكننا أن نقول أنها ارتاحت كثيراً فى ذلك العهد وأن حدثـت فيها بعض الأضطرابات التى لا نرى الوقت مساعداً لذكرها فى هذا المختصـر ويحق لنا أن نقول أن البصرة لم تر عهداً بعد العصر العباسى الأول مثل عهد الدستور من حيث النهضة التجارية والحركة العمرانية والنظام والانتظام .

سقوط البصرة
بيد البريطانيين

قامت الحرب العامة فى أواخر سنة ١٣٣٢ هـ وعلى البصرة يومئذ وكيلاً للولاية القائد صبحى بك وكانت الحكومة العثمانية قد سيرت أكثر الجنود العراقية إلى جهات قفقاسيا وأرسلت جيشاً ضعيفاً نحو الخمسة آلاف جندى أكثرهم من العراقيين إلى البصرة وسدت شط العرب عند الفاو فهجم أسطول البريطانيين على الفاو فى منتصف شهر ذى الحجة من السنة المذكورة فأندحر الجيش العثمانى بعد بضعة أيام ثم أنسحب من البصرة فى آخر يوم من هذا الشهر فدخل البريطانيون المدينة فى اليوم الثانى من محرم سنة ١٣٣٣ هـ ثم سقطت القورنة فى ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣هـ بعد معارك عنيفة قام بها القائد العثمانى صبحى بك حتى نفذت ذخائره الحربية فأضطر إلى التسليم.

وحاول العثمانيون استراداد البصرة من البريطانيين فجمعوا جيشاً كبيراً فحدثت بين الفريقين حروب دامت ثلاثة أيام فى الشعيبة فأنتهت بفشلهم وبأنتحار القائد سليمان عسكرى بك وذلك فى شهر جمادى الأخرة سنة ١٣٣٣هـ وعلى أثر ذلك سقطت العمارة فى أوائل شهر رجب ثم سوق الشيوخ فى أوائل رمضان ثم الناصرية فى اليوم التاسع من رمضان وبقيت الحروب بين الدولتين حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١١ آذار سنة ١٩١٧ م .

المراجع والمصادر

معجم البلدان	لياقوت الحموى
وفيات الأعيـــــان	لابن خلكان
الأخبار الطوال	لأبى حنيفة
الدعـــــــــــاه	
التمدن الإسلامى	لجرجى زيدان
دائرة المعـــــارف	لفريد وجدى
تاريخ ابن الأثير	
تاريخ الأمير حيدر	
قرة العين فى تاريخ بغداد والبصرة وبين النهرين	لرشيد السعدى
خلاصة تاريخ العراق	للأب أنستانس
الفوز بالمـــــــراد	للأب أنستانس
تاريخ الأدب العربى	
تاريخ أحمد رفيق التركى	
تاريخ نعيما التركى	
سالنامة البصرة لسنة ١٣١٨ هـ	لمحمد نجيب بك آل بابان
مطالع السعود	
القرمـــــــانى	
التحفة النبهانية	للشيخ محمد النبهانى
زاد المسافر	لفتح الله العكى
تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ م	لصاحب جريدة العراق رزوق أفندى
نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق	ليوسف أفندى غنيمة

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

م	الموضـــــــــــــــوع	الصفحـــة

رقم الإيداع	٧٦٩٥/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 341 -028 -5

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧